مكتبة جورج انطون كيراز

اسم الكتاب اللغات الآرامية وآدابها

اسم المترجم الاستاذ انطون شكري لورنس

(تأليف) الاب العلامة شابو (J. Chabot)

سنة الطبع ١٩٣٠

رقم الكتاب 503

ملاحظات عني بنشره مراد فؤاد جرجي رئيس تحرير مجلة الحكمة.

ܡܫܡܫܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܐ. ܟܝܪܐܙ
الشماس جورج انطون كيراز
DEACON GEORGE ANTON KIRAZ

اللغات الآرامية وآدابها

بحث تاريخي جليل يتضمن وصف اللغات الآرامية وآدابها مع بيان فروعها
ولهجاتها وخصائصها وتاريخ نشأتها وتأثيرها في غيرها من اللغات السامية
باسلوب جذاب على خير ما يمكن
من التلخيص والتمحيص

تأليف
الاب العلامة شابو (J. Chabot)

تعريب
الاستاذ انطون شكري لورنس

عني بنشره
مراد فؤاد حبقي
رئيس تحرير مجلة «الحكمة»

مطبعة دير مار مرقس للسريان بالقدس
١٩٣٠

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܟܠ ܐܬܪܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܣܬܟܠ ܟܠ ܟܡܐ
ܘܕܝܢܐ ܡܢ ܟܢ ܡܠܟܘܬܐ ܘܡܢܐ ܕܢܗܘܐ ܫܠܠ ܐܘ
ܟܠ ܠܗ ܡܢܐ ܢܠܠ ܢܗܘܐ ܗܘܐ ܠܗ ܡܢܐ ܟܠ
ܚܢܘܢܐ ܕܢܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܟܬܒܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ܒܝܬ ܐܪܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
Languages: Aramaic
Beth Mardutho Library

مقدمة للناشر

اللغة السريانية او الآرامية هي احدى اللغات السامية . ودعيت سامية نسبة الى سام بن نوح واخواتها العربية والعبرية والحبشية . ويظن ان العربية اقربهن الى الأصل السامي الذي تفرعت منه . الا ان السريانية اقدم منها عهداً .

وادب اللغة هو ثمار العقول الكبيرة والادمغة المتوقدة من ابنائها يرينا بوضوح وجلاء عقلية الامم وخصائصها ومزاياها .

وتاريخ الادب علم يبحث عن احوال اللغة ، وما انتجته قرائح ابنائها من النظم والنثر في مختلف العصور وعما عرض لها من اسباب الصعود والهبوط فهو تاريخ الامة من الوجهتين الادبية والعلمية .

والادب السرياني ، من اغنى آداب اللغات السامية واشهرها . نشأ في ما بين النهرين مهد الحضارة قبل المسيح باحقاب متطاولة وعاش الى اوائل القرن الرابع عشر للميلاد ، الا ان حياته بعد الفتح الاسلامي كانت ضعيفة .

وهو يقسم الى عصرين مهمين : (١) العصر الوثني (٢) والعصر المسيحي . فالعصر الوثني ، لم يخلف لنا آثاراً تذكر ، لان السريان الاقدمين ابادوا مؤلفات اجدادهم لما اعتنقوا المسيحية ، ولهذا لا يعرف عن أدب هذا العصر الا القليل . وكل ما اتصل بنا من الادب السرياني ، هو من المدرسة المسيحية لا الوثنية ، اما العصر المسيحي ، فقد خلف آثاراً قيمة ، في سائر انواع العلوم ويمتاز ادب هذا العصر ، بكونه ادباً مسيحياً نشأ وارتقى متأثراً بالمسيحية مديناً لها بالصبغة الدينية ، لان مجموعة الكتابات التي بقيت لنا منه يكاد مؤلفوها يكونون بلا استثناء من الكهنة او الرهبان ، او من علماء اللاهوت الذين تخرجوا في مدارس الديورة .

ومع غنى الادب السرياني وشهرته، لم يوضع حتى الآن مؤلف بالسريانية او بالعربية يبحث في تاريخه ولو بصورة مجملة بحثاً علمياً صحيحاً بالمعنى المفهوم من تاريخ الادب في الغرب. فما كتب عن هذه الآداب باللغة العربية المتغلبة على السنة ابنائها اليوم، ليس سوى نبذ يسيرة، ولمح وجيزة، وردت مبعثرة هنا وهناك لا تروي الغليل. ولعل اول من كتب في الآداب السريانية باللغة العربية كان المرحوم جرجي زيدان في مؤلفيه: «تاريخ الآداب العربية» و «تاريخ التمدن الاسلامي» عند بحثه عن الثقافات التي تغذت منها عقول العرب في اوائل الفتح العربي وعنه نقل فيما بعد اكثر الكتاب المتأخرين لما تكلموا عن تكون الفكر العربي في فجر الاسلام

واما ما كتبه السيد يوسف داود في مقدمة: «لمعته الشهية»، والسيد يوسف الدبس في مجلدات مؤلفه: «تاريخ سورية»، والسيد ادي شير في كتابه: «تاريخ كلدو واثور» والسمعاني في: «مكتبته الشرقية» الشهيرة عن كتبة السريان واخبارهم، وما رواه ابن العبري في تاريخه العربي: «مختصر الدول» وابن القفطي في كتابه: «تاريخ الحكماء» وابن النديم في: «الفهرست» من اخبار اطباء السريان وفلاسفتهم، فهو عبارة عن اخبار مفردة غير مرتبطة لا تظهر ما بين الفلاسفة والاطباء والشعراء والكتاب من علاقة في الصناعة والغرض والاسلوب، ولا تذكر ماطرأ على النظم والنثر من تحول وتقلب

هذا بينما نرى الغربيين قد قدروا ما لهذه الآداب من الاهمية، فاقبلوا على درس اللغة السريانية، وعمدوا الى نشر كنوزها الادبية بعد نقلها الى لغاتهم المختلفة، وتفرغ جماعة من كبراء علمائهم المستشرقين الاعلام، لتمحيص هذا الادب ودرسه درساً وافياً اشهرهم: المرحوم وليم رايت William Wright المستشرق الانكليزي، وروبانس دوفال Rubens Duval المستشرق الفرنساوي،

والدكتور انطون باومشترك Dr. Anton Boumstark المستشرق الالماني. وقد وضع كل من هؤلاء الثلاثة مؤلفاً نفيساً بلغته في تاريخ الادب السرياني على نسق عصري حديث، مبوب أحسن تبويب، نتمنى كثيراً لو انها تنقل جميعها الى العربية.

وهناك عدد كبير من المستشرقين عدا من ذكرنا، ممن كتبوا نبذاً في هذه الآداب او نشروا شيئاً من آثارها، او نقلوا الى لغاتهم بعض مؤلفاتها. كما تقدم معنا القول في اعلاه. يضيق بنا المقام ان حاولنا سرد اسمائهم فقط.

ولما كنا قد أخذنا على نفسنا منذ انقطعنا الى تحرير «الحكمة» اذاعة ما لاجدادنا السريان من الفضل الكبير في تكوين المدنيات القديمة التي لا تزال تؤثر بتقاليدها وروحها على مدنية العالم الحديث، شرعنا في نشر بحوث في اللغة السريانية. التي كان لها الشأن الاعظم في بقعة واسعة من الارض في سالف الايام. وعمدنا الى تعريب فصول عقدها بعض كبار المستشرقين في آداب هذه اللغة، لتنبيه افكار ابناء الشعب السرياني اليها. وقد اطلعتنا الصدف في اثناء تنقيبنا في المكاتب، على بحث قيم جليل في اللغات الآرامية وآدابها للمستشرق الفرنساوي الشهير الاب العلامة يوحنا شابو (J. B. Chabot) ضمنه حقائق قيمة عن هذه اللغات مبيناً فروعها ولهجاتها وتاريخ انشائها وتأثيرها في غيرها من اللغات السامية، واصفاً خصائصها ومزاياها على خير ما يمكن من التلخيص والتمحيص باسلوب جذاب يدعو الى التقدير والاعجاب، فهو يطلع القارئ في بضع صفحات على ما لا يمكن الوقوف عليه الا في مجلدات فبحثه هذا خلاصة نفيسة لعدد كبير من اشهر المؤلفات، اشار اليها في الحواشي متخذاً اياها قاعدة لبحثه دون ان يتقيد بمباحث تلك المؤلفات الضخمة. وقد حلل بعض النقاط تحليلاً ليس أقل دقة واستقصاء من تحليل صاحب الكيمياء

في معمله ، وتصرف في المسائل بعقل يعرف كيف يفكر ، وكيف ينتقل من قضية الى قضية ومن مقدمة الى نتيجة ، ولا غرو في ذلك فهو من أئمة علماء اللغة السريانية في الغرب ، واحد مشاهير الباحثين في ادابها ، نشر عدداً كبيراً من مؤلفات آباء السريان بعد ان نقلها الى الافرنسية او اللاتينية نخص بالذكر منها: تاريخ البطريرك مار ميخائيل الكبير ، والتاريخ المنسوب لديونوسيوس التلمحري ، وتفسير الاناجيل لديونوسيوس ابن الصليبي وله عدا هذه ، ابحاث ونشريات جليلة في اشهر المجلات الغربية .

وقد تفضل بتعريب هذا البحث خصيصاً « للحكمة » صديقنا الاستاذ الكبير السيد انطون شكري لورنس الكاتب البليغ ، الممتاز بجودة نقوله ورشاقة اسلوبه ، فجاء سفراً نفيساً قليل الكلام ، جليل المقام ، يقع في ٥٢ صفحة نشرناه تباعاً في « الحكمة » ثم طبعناه مستقلاً ، وها اننا نزفه الى قراء « الحكمة » هدية آملين ان يكون مرجعاً لطبقة المستنيرين من الادباء والعلماء .

ومما تجب الاشارة اليه في الختام ، اننا مع اعترافنا الصريح بفضل طبقة المستشرقين على آداب لغتنا السريانية بما نشروه من الابحاث المستوفية عنها ، لابد لنا من التصريح ان المدققين لا يطمئنون كثيراً الى ما يكتبه هؤلاء المستشرقون لان تعمقهم في الابحاث كثيراً ما يستدرجهم الى آراء ضعيفة ومذاهب غريبة زد على هذا ان ضعف بعضهم في اللغة السريانية وبعدهم عن موطنها وجهلهم لكثير من مخطوطاتها ، واعتمادهم في بعض الاحيان على مصادر مشوشة ، لا يوثق بها ، وتعصب فريق منهم الى المذهب الذي ينتمي إليه ، كل هذه الاسباب مما توقعهم احياناً في اغلاط لا يصح السكوت عنها . وهم بالاجمال ينعتون كنيستنا السريانية الارثوذكسية في اغلب كتاباتهم باليعقوبية لاستقائهم من مصادر تعمدت تلقيبنا بهذا اللقب زوراً . والاب شابو نفسه تعمد

اطلاق هذا اللقب المغلوط علينا في اثناء كلامه عن الكنيسة السريانية وكتبتها شأن غيره من الكتبة المنتمين الى الكنيسة الرومانية ولم نتابعه في هذا الغلط بل ترجمنا كلمة «يعاقبة» التي كررها كثيراً بالسريان الغربيين وكلمة «نساطرة» بالسريان الشرقيين.

ومن دواعي فخرنا وسرورنا، ان يكون كتابنا هذا، اول كتاب في الادب السرياني باللغة العربية، فلا نعرف قبله كتاباً بهذا الموضوع. فعسى ان يتصدى من يجد في نفسه الكفاءة لوضع او ترجمة مؤلف اكمل واطول في هذه الآداب، التي لا تزال مجهولة لدى الامم الشرقية الى الآن. والله الموفق في كل الاحوال ؟

القدس : دير مار مرقس للسريان

مراد فؤاد جقي

اللغات الارامية وادابها

❁ ١ ❁

ظل درس الآرامية مدة أجيال معدوداً من ملحقات دروس الكتاب المقدس . وفي الواقع أن الارامية التي كانت معروفة ليست الا آرامية الكتاب المقدس التي كانت تُدعى عادة الكلدانية . وفي اواخر القرن السابع عشر أخذ الناس يحسون بأهمية السريانية فاقبلوا على دراستها متوخين خاصة تمحيص نصوص الاسفار المقدسة . وقد اوضحت المكتبة الشرقية الضخمة التي نشرها السمعاني (رومية سنة ١٧١٩ - ١٧٢٨) ما في الادب السرياني من الثروة التي لا تعادل . فكان ذلك بدء أبحاث عديدة (١) . غير ان درس هذه اللغة وسائر اللهجات الارامية لم يتقدم تقدماً حقيقياً الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الا ان مجاله قد اتسع في بضع سنوات اتساعاً يصعب معه اليوم حتى على اختصاصي ان يستثمر بنجاح متعادل اقسامه العديدة .

ومن السهل تعليل هذا التقدم السريع الفجائي . فمن اول اسبابه

(١) كان من الحق أن يرجع المجد فى ايجاد هذه الحركة الادبية الى العلم الفرنساوى. فان الاب أوسيبيوس رينودوت (Eusèpe Renaudot) قد سبق السمعانى بثلاثين سنة. واذا كان الكثير الذى عنى بجمعه وتأليفه وهيأه للطبع لم يظهر فذلك لان المؤلف لم يحظ بالمساعدة والتشجيع اللازم . فانه انتظر حتى مماته الحروف الشرقية التى كان كولبير (Colbert) قد وعده بها . ومؤلفات رينودوت أفضل من مؤلفات السمعانى من حيث سعة العلم واكثر تنوعا وليست مع ذلك اقل اتساعا. (راجع تقويم مجموعة رينودوت فى مكتبة باريس القومية لمؤلفه أومونت (Cf. H. Omont, Inventaire de la Collection Renaudot à la Bibl. Nat.)

المخطوطات العديدة التي جيء بها الى اوروبا والبيانات التي اذيعت على أثر ذلك فبينت ما في الاقسام الشرقية في المكاتب الكبيرة من الثروات المتراكمة . ثم ان الكشوف الخطية العديدة قد كشفت عن آثار آرامية أحدلتها صفتها وقدم عهدها في مقدمة الوثائق التي من شأنها ان ترشدنا للوقوف على تاريخ شعوب قد انقرضت ومدنيتها ولغتها في حين لا تكون هي الشواهد الوحيدة . وقد عني أخيراً جماعة من خبراء الرواد بجمع العناصر اللازمة لدرس اللهجات الارامية التي لا تزال محكية وفتحوا بعملهم هذا لمباحث علماء اللغات مجالا جديداً فيه السعة الكافية .

ولم تلبث أهمية الدروس الارامية التي ما برحت في ازدياد أن دعت في وقت قصير الى فصلها من دروس الكتاب المقدس وأدت في اكثر الجامعات الاجنبية الى انشاء دروس خاصة لا يزال عددها في ازدياد . ومن يلق نظرة على برامج هذه الجامعات يتضح له ذلك . ولاشك أن هذا هو السبب عينه الذي دعا سنة ١٨٩٥ الى انشاء درس للغات الارامية وآدابها في كلية فرنسا عني بالقائه روبنس دوفال (Rubens Duval) ممتازاً فيه مدة اثني عشرة سنة . ولكن هذا الدرس قد الغي والظاهر انهم رجعوا عندنا (في فرنسا) الى الاعتقاد القديم . وقد ألحق درس في السريانية بدرس العبرية في مدرسة الدروس العالية العملية التي تلقى فيها أيضاً محاضرة في اليهودية التلمودية والربانية . ويدعى أهم الدروس في كلية فرنسا «اللغات والاداب العبرانية والكلدانية والسريانية» . وهذه هي الاثار الوحيدة لهذا التعليم في البرامج الرسمية . وفي الحقيقة أن السريانية هي الفرع الذي رقفنا ازدهاره على معظم ما عرفناه من الاداب الارامية . غير أن الى جانب السريانية فروعاً أخرى ليست أقل منها قدراً وان تكن أقل امتداداً وكثيراً ما تفوقها من حيث الاهمية اللغوية (هذا شأن الوثائق الخطية الاثرية)

ونود ونحن لا ندعي السبق ان نطلع غير المستشرقين في بضع صفحات اطلاعاً وافياً تاماً على اتساع مجال الدروس الارامية وعلى الفائدة التاريخية واللغوية التي تنجم عنها(١)

(٢)

الارامية من اللغات التي جرت العادة ان تدعى بالسامية مع ان هذه التسمية لا تطابق في الحقيقة مجموعة قومية ولا تقسيماً جغرافياً. فالسامية اسم اصطلاحي نشأ في القرن الثامن عشر بتأثير الفصل العاشر من سفر التكوين الذي يشير الى العبرانيين والاراميين والعرب كولد سام

ويتعذر في الحالة التي نحن عليها من المعارف التاريخية واللغوية ان نعين منشأ هذه اللغات وما قد يكون لها من الصلة باللغة السامية الاصلية. ويرى العارفون اليوم من العبث أن نتوصل يوماً من الايام أن نجمع على الوجه الأرجح ولو جزءاً من عناصر هذه اللغة العامة. ولسنا كذلك نعرف بالتأكيد موطن الساميين الأولين. فبعض العلماء من ذوي الخبرة يزعمون ان منشأهم الاقطار الواقعة في جنوب بحر قزوين وفي جنوبه الغربي وانهم رحلوا من هناك الى بابل وانتشروا من ثم شيئاً فشيئاً في كل الاقطار التي نصادفهم فيها في ما بعد من الأزمنة (هذا رأي فون كريمر von Kremer وغويدي Guidi وتابعهما هومل Hommel في بعض هذا الرأي). ويرى آخرون أن صفات الساميين العنصرية ومنها الايمان الشديد والتعصب والتصور تنم على أصل صحراوي ويزعمون انهم من بلاد العرب (هذا رأي سايس Sayce وسبرنجر Sprenger وشرادر Schrader ودي غوجه De Goeje ورايت Wright) ثم ان

(١) أنبه القارئ الى ان الحواشي ليست مرجعاً تاماً الى المؤلفات . فهي تشير قدر الامكان الى المؤلفات التي توجد فيها عناصر هذه المراجع التي يحتاج ذكرها أحياناً الى جمع صفحات

نولدكه M.Nöldeke أدلى متحفظاً باحتمال أن يكون منشؤهم في افريقيا (١)

﴿٣﴾

جرت العادة ان تقسم اللغات السامية الى فريقين(٢) : السامية الشمالية والسامية الجنوبية. وهذا التمييز يستند الى صفات لغوية خاصة بكل من هذين الفريقين اكثر من استناده الى تقسيم جغرافي مدقق. وليس من غرضنا هنا أن نبين هذه الصفات(٣)

واللغات السامية الشمالية هي الاشورية والارامية والكنعانية. وقد جرى استعمال هذا الاسم الأخير عادة للدلالة على النوع العبراني والفينيقي وآثار تلك اللهجة التي ظهرت في صفائح تل العمارنة الشهيرة والتي تتضمن المراسلات التي تبادلها الاقيال الفلسطينيون وملك مصر امينوفيس الرابع فى القرن الخامس عشر قبل العهد المسيحي

واللغات السامية الجنوبية هي العربية والحبشية. والعربية تنقسم هي نفسها الى فرعين : الفرع الشمالي ومنه العربية الفصحى ولهجاتها العديدة الحية والفرع الجنوبي الذي يدعى عادة الحميري ومنه السبئي والمعيني ولهجات أخرى نحن اقل بها معرفة.

والحبشية القديمة الفصحى تدعى أيضاً الجيزية. وهناك لهجات عديدة محكية في أيامنا ولاسيما التيغرية والتغرينية (في الشمال) والامحرية وغيرها (في الجنوب) وهي تتفاوت بعلاقتها المباشرة بالحبشية القديمة الفصحى.

وهذه اللمحة الاجمالية تدل على ترتيب اللهجات السامية المعروفة في أيامنا

---

(١) اذا اردت الرجوع الى ما كتب فى هذا الصدر فعليك بكتاب (W.Wright, Comparative Grammar of Semitic Languages, Ch.1)

(٢) يقسمها بروكلمان M.Brockelmann الى ثلاث فرق : الشرقية ، القائمة بالاشورية ، والغربية الشمالية ،الارامية والكنعانية ، والغربية الجنوبية ،العربية والحبشية ،.

(٣) يحتاج تبيين هذه الصفات بوضوح الى تبسط في البحث والى أمثال عديدة.

ومن المرجح ان لم يكن من المؤكد أن لهجات عديدة قد نشأت على تعاقب الاجيال في الاقطار الواسعة التي كانت موطن الشعوب التي تكلمت هذه اللغات ثم تلاشت حتى في العهد التاريخي نفسه ولم تبق منها آثار ظاهرة

وقد ارتأى ارمان أن بين المصرية واللغات السامية قرابة أصلية. وقرابة اللغات السامية للغات الافريقية المدعوة بالحامية مسألة مختلف عليها غير ان الأرجحية الكبرى في جانب الرأي الايجابي وأما القول بقرابتها للغات الهندية الاوربية فلم تصوبه بالعكس حتى يومنا هذا أبحاث لغوية جدية (١)

﴿ ٤ ﴾

رأينا في ما تقدم أن الارامية تحل وسطاً بين الاشورية والكنعانية اللتين كانت عتيدة أن تحل محلها . ففي أي زمن انفصلت هذه اللغة التي كان لها مثل هذا الشأن العظيم في نشر المدنيات الشرقية عن اللغة السامية الاصلية ؟ وفي أي قطر تجلى هذا الانفصال الى حد جعل منها لغة خاصة ؟ ان علم خصوصيات الشعوب والتاريخ وعلم اللغات لا تذكر شيئاً من هذا. وكانت الأرامية في القرن الرابع عشر قبل العهد المسيحي لغة القبائل الرحالة التي كان معظمها يتنقل في الصحراء الواقعة غربي الفرات . وفي عهد الاسكندر وقبل ذلك أيضاً قضت الارامية على كثير من اللهجات الخاصة وكانت منذ أجيال هي اللغة الرسمية لقطر واسع يمتد من آسيا الصغرى الى العجم ومن جبال طوروس الى شبه جزيرة العرب ! ونستخلص من

(١) راجع: 1 Wright. Comparative Grammar

2 Noldeke. Die Semitischen Sprachen (2e ed., 1899)

3 Brockelmann. Précis de linguistique Sémitique, traduit de l'allemand par W. Marçais (Paris, 1910)

وأما كتاب رينان (Renan, Histoire Générale des langues sémitiques (1855)

تاريخ اللغات السامية العام ، فلم يبق منه اليوم سوى [illegible]

[illegible] .

الوثائق الأشورية أهم الاسباب التي أدت الى هذا التبسط الخارق · وقد لخص مسبيرو M. Maspero هذه الأسباب في بضعة اسطر (١) فقال: أن اللهجة المصقولة التي كان كتبة نينوى وبابل يستعملونها في عهد هيرودوتس لانشاء الكتابات الرسمية كانت قد أضحت منذ زمن طويل ما يشبه لغة نبيلة يفهمها نخبة من الناس ويجهلها العامة · وكان العامة من سكان المدن والقرويون يتكلمون باللهجة الارامية التي كانت أثقل من تلك وأوضح منها وأكثر تفصيلاً · وهذه اللهجة هي التي تولى الفاتحون وهم لا يشعرون أمر نشرها في كل مكان قصدوا اليه . وقد اعتاد هؤلاء الفاتحون منذ القدم أن يجلوا بعيداً أسرى مغازيهم ويسكنوهم في المدن التي يكونون قد ضموها حديثاً الى ممتلكاتهم ·وفي عهد السرغونيين (٧٢٢ - ٦١١) كان من البابليين الأصليين والأراميين النازلين عند مصاب دجلة أكبر عنصر في هذه الجاليات المكرهة .وقد نزل العدد الكبير منهم بمقاطعات سقي الفرات والعاصي وحلوا ببيت النهرين في جوار حماة ودمشق عند الحثيين · وما زال هؤلاء في ازدياد بمن ينضاف اليهم من المجلوين الجدد وبمن ينضم اليهم طوعاً من قبائل البادية وهم اراميون مثلهم ، وما زال تأثيرهم يشتد ومقاومة السكان الأصليين تضعف حتى أصابوا في بادي الأمر نفوذاً بيناً اذ انهم استغرقوا بقايا السكان القدماء . ثم ان سقوط نينوى (٦٠٨) وانتصار نبوخذ نصر في كركميش (٦٠٤) قد أخضعاهما مباشرة لسيادة اخوانهم الذين لبثوا في كلدو وزادهما قوة تحمل عناصر البلاد الأصلية على التشبه بهم والاندماج فيهم فأصبحت سوريا الشمالية من أهم مراكز العنصر الارامي وكادت تكون هي آرام بالذات . ولما خلفت السيادة الفارسية السيادة الكلدانية لم تفقد الأرامية شيئاً من أهميتها وظلت لغة الدولة الرسمية في الولايات الغربية كافة. فقد رايناها في مسكوكات آسيا الصغرى ومسلات مصر ومخطوطاتها

(١) تاريخ شعوب الشرق القديم (Histoire ancienne des peuples de l'Orient.6e éd.p.770)

البردية وفي اوامر مرازبة الفرس والملك الكبير نفسه ومراسلاتهم. وكادت تحل من نصيبين الى رافيا (Raphia) ومن سواحل خليج العجم الى سواحل البحر الأحمر محل كافة اللغات السامية وغيرها التي كانت محكية الى ذلك العهد. وقاومتها الفينيقية في باديء الأمر بنجاح واستمرت طويلاً على الساحل وفي جزيرة قبرس. واما العبرية التي كان الوهن قد الم بها اثناء الجلاء فقد امحت امامها وتلاشت شيئاً فشيئاً باحتكاكها باللهجات التي كانت تتكلم بها الجاليات المجاورة لاورشليم ولبثت كلغة ادب وعبادة. وقد نشر الاراميون مع لغتهم خطهم الذي اخذوا حروفه عن الفينيقيين

وما عتمت الارامية في مثل هذا المجال الواسع من الأرض أن ارتقت مع الزمن وتحولت. فأننا نراها في صور شتى من اللهجات العديدة(١) التي تنقسم الى فرعين متميزين كل التمييز وهي الارامية الشرقية (بابل ومابين النهرين) والارامية الغربية (سوريا وآسيا الصغرى وفلسطين وبلاد العرب ومصر)

ومن ميزات هذا التقسيم الأساسي الى لهجات شرقية اوغربية ميزة بسيطة جداً يمكننا ذكرها في بضع كلمات : لا يحتمل التصريف السامي سوى زمنين هما الكامل والناقص(٢) وينبغي أن تفهم هاتان اللفظتان بالمعنى الاشتقاقي للدلالة على عمل « ناجز » او « غير ناجز » لا بالمعنى الصريح في صرف اللغات الهندية الأوربية. والوضع الأساسي للفعل هو صيغة الغائب المفرد المذكر من الكامل ويشتق الناقص من الكامل بزيادة حرف على اوله. وهذا الحرف في اللهجات الارامية الغربية هو الياء (كما في اللغات الكنعانية)

(١) تستعمل كلمة لهجة للدلالة على لغة [illegible] . واللهجات الارامية تتباعد الواحدة عن الاخرى من حيث الصرف والالفاظ كما [illegible] اللهجات [illegible] اللغات العامية [illegible] عشرة لهجة [illegible]
[illegible] (R. Duval, [illegible])

(٢) الماضي والمضارع - المعرب

وهو بالعكس النون (واحياناً اللام) في اللهجات الشرقية . فمثلا كتب في الكامل تكون يكتب في الناقص في الأرامية الغربية ونكتب في الأرامية الشرقية . ومن الميزات التي لا تقل عن هذه اثراً حرف التعريف الذي يكون بزيادة حرف على آخر الكلمة فانه يحتفظ بمعناه الاصلي في الفرع الاول ويفقده في الفرع الثاني .

فيتضح مما ذكر ان التقسيم يستند الى اعتبارات لغوية دقيقة اكثر من استناده الى اللفظتين شرقية وغربية . وفي الحقيقة ان هاتين اللفظتين ليس لهما من علاقة الا من حيث الزمان والمكان. فالسريانية وهي لهجة شرقية كانت في عهد ما اللغة الادبية لمعظم الاقطار التي كانت اللهجات الغربية قد ازدهرت فيها . (١)

﴿ ٥ ﴾

اقدم ما وصل الينا من الاثار الارامية الغربية مخطوطات حجرية لا يزال عددها قليلا غير ان بعضها طويل وفي محتواها من التنوع ما يلقي في الاذهان صورة عن الفاظ الارامية الغربية وطرق اشتقاق هذه اللهجة التي لا يسعنا وصفها على الوجه الصحيح بتعيين جغرافي ونكتفي بأن ندعوها الارامية القديمة .

واهم المخطوطات التي جاءتنا من سوريا الشمالية هي مخطوط هدد الذي يرجع عهده الى القرن الثامن (٣٤ سطراً) ومخطوطات بنامو (٢٣ سطراً) وبر ركب (٢٠ سطراً) ملكي شمأل المعاصرين لتجلت فلصر ، وهذه الآثار التي عثر عليها في زنجرلي هي الان في متحف برلين . وقد وجدت مسلتان (٣٤ سطراً) في نيرب سنة ١٨٩١ وهما الان في متحف اللوفر . وقد كشف بونيون M.Pognon عن مسلة مشوهة (بقي منها ٣٥ سطراً) لاحد ملوك حماة المدعو زكير والمعاصر ليواس ملك اسرائيل (القرن الثامن) . وقد وجدت في

(١) طالع المؤلفات التى ذكرت والتمهيدات الصرفية . واذا شئت الوقوف على اللهجات الخاصة فراجع :

1 R.Duval. Leçon d 'ouverture faite au Collège De France (1895)

2 Th. Noldeke. Die Aramaische Literatur (dans le vol. Die orientalischen Literaturen [collection : Die Kultur der Gegenwart] Berlin, (1906)

كيليكية وليكية مخطوطات يرجع عهدها الى القرن الرابع او الخامس. وعثر الباحثون في ارابيسوس Arabissos في كبادوكية على كثير من المخطوطات الآرامية يختص واحد منها بعبادة محلية. ولا يقل عهد هذه المخطوطات عن منتصف القرن الثاني قبل المسيح. وعثر الباحثون في بلاد العرب على كثير من المخطوطات. فالمسلة الكبيرة الكائنة في متحف اللوفر والتي وجدها هوبر Huber في تيماء سنة ١٨٨٠ فيها ٢٣ سطراً ويرجع عهدها الى القرن الخامس وهناك كثير من المخطوطات معظمها في المتحف البريطاني جاءت من مصر. وقد وجد احدها في سقارة وعليه تاريخ سنة ٤٨٢ ووجد مخطوط آخر في اسوان وعليه تاريخ سنة ٤٥٨ وليست مسلة متحف كاربنتراس Carpentras اقل من ذلك عهداً. وينبغي اضافة مجموعة من الآثار الصغيرة كالاسطوانات والمثاقيل والاختام كثير منها معاصر لاقدم الآثار.

فكل ما تقدم ذكره مادة لا يستهان بها في درس الآرامية القديمة قد ادت الى ابحاث عديدة (١)

---

(١) المخطوطات الارامية التى أدرجت فى المؤلف Corpus Inscriptionum Semiticarum مرقمة من ١ - ١٤٢ وقد اكتشفت مخطوطات زنجرلى و نيرب ومخطوطات آسيا الصغرى فى ما بعد. والملحق الذى أعده سيكون أوسع من القسم الذى تم طبعه ولن تدرج فيه مع ذلك المخطوطات البردية التى تؤلف قسماً على حدة. راجع النشرة الالمانية عن الحفريات للوقوف على مخطوطات زنجرلى. وأما مخطوطات نيرب فقد نشرها كليرمون غانو Clermont-Ganneau فى كتابه :

Études d'archéologie orientale, t. II, P. 182 et suiv., 1896

ونشر بونيون Pognon مسلة زكير فى كتابه :

Inscriptions sémitiques de la Syrie, etc. (Paris, 1908)

ليس للارامية القديمة صرف قياسى. وفى الامكان أن يستعاض من ذلك بكتاب :

Lidzbarski, Handbuch der nordsemitischen Epigraphik. [Weimar, 1898]

وكتاب: G. A. Cooke, Text-book of North-Semitic Inscriptions Oxford. 1903

﴿ ٦ ﴾

أقدم الآثار الادبية للفرع الغربي نجدها في آرامية الكتاب المقدس. وليس من رأينا أن تفصل عن هذا الفرع نصوص المخطوطات البردية التي اكتشفت في مصر وتكاد تكون كلها من المستعمرة اليهودية في جزيرة اسوان وقد كان قسم منها معروفاً منذ زمن طويل واكتفى به كليرمون غانو (C. Ganneau[١]) ليعين تاريخها في العهد الفارسي وصوبت ظنه الكشوف اللاحقة. فقد وجدت سنة ١٩٠٤ احدى عشرة ورقة كبيرة الحجم تكاد تكون سالمة من عادية الدهر وفيها نحو ٢٤٠ سطراً طويلاً من الكتابة سالماً من كل أذى. وهذه الوثائق (بيع وهبة وايصال وصك زواج وتوزيع ارث وغير ذلك) مصدرها عائلة يهودية واحدة وكلها مؤرخة بتدقيق (٤٧١ - ٤١١ قبل المسيح[٢]) وهناك أوراق أخرى مصدرها جزيرة اسوان مودعة في متحف برلين. وقد نشر ساخو Sachau (٣) اربعاً منها وستنشر الأخرى عما قريب.

والافادات التي فاجأتنا بها هذه الوثائق عن حياة هذه الطائفة اليهودية الاجتماعية والدينية تجعل لها اهمية خارقة من وجهة دروس الكتاب المقدس.

وقد وجد في جزيرة اسوان أيضاً عدد من الأصداف المغشاة بالكتابة الآرامية يرتقي عهدها الى عهد الوثائق المتقدم ذكرها. ومنها ماهو صادر عن أصحاب المخطوطات البردية التي ذكرناها آنفاً. وقد جاء كليرمون غانو

---

(١) في كتابه: Origine perse des monuments araméens d'Égypte (Paris. 1880)

(٢) راجع: 1—H. Sayce et Cowley. Aramaic papyri discovered at Assuan (Londres.1906)
2—Cf. Th. Noldeke, Zeitschr. für Assyriologie. t. xx, p. 130
ولهذه المخطوطات البردية اليوم أدب خاص.

(٣) راجع: 1—Ed. Sachau. Drei aramaische Papyrusurkunden aus Elephantine (Berlin.1908. Abhandl. de l' Acad. de Berlin).
2— Florilegium Melchior de Vogüé (paris, 1909).

بيضع مئات من هذه الاصداف وهي الان في الخزانة الخاصة بالمؤلف (Corpus Inscriptionum Semiticarum)

ولغة هذه الوثائق كلها هي في الظاهر لغة اقدم أقسام الكتاب المقدس التي كتبت بالآرامية. ولا شك أن اللفظ كان يختلف قليلاً في مصر وفلسطين غير انه لم يظهر حتى الآن ما يحملنا على التسليم بوجود لهجة خاصة بالآرامية المصرية

وأقسام العهد القديم التي كتبت بالآرامية هي : عدد واحد من ارميا (ص ١٠ ع ١١) وقسم من سفر عزرا (ص ٤ ع ٧ وص ٦ ع ١٨ وص ٧ ع ١٢ - ٢٦) وقسم من سفر دانيال (ص ٢ ع ٧). ونزيد اتماماً لذلك كلمتين في سفر التكوين (ص ٣١ ع ٤٧). وتكاد الآراء تكون متفقة على تعيين تاريخ سفر دانيال حوالي سنة ١٦٥ والقسم الآرامي في سفر عزرا أقدم من ذلك عهداً ومما لا ريب فيه أن قطعاً منه يرتقي عهدها الى العهد الفارسي ولا تسوغ لنا مقابلتها بمخطوطات جزيرة اسوان البردية أن نحط عهد المجموع الى مادون عهد الاسكندر. وتاريخ الاقسام الآرامية وتاريخ الوضع النهائي لهذا السفر هما عدا ذلك مسألتان متمايزتان (١).

ونذكر هنا جرياً على العادة الكلمات الآرامية التي حفظت في العهد الجديد بحروف يونانية وذلك لمالها من العلاقة بالكتاب المقدس. وهذه الكلمات هي : (رابي - طاليتا - قومي - افتح - كيفا - ماران أتا) وبضع كلمات أخرى (٢). وهناك بضع كلمات في تاريخ فلافيوس يوسيفوس.

---

(١) راجع الكتب الصرفية الاتية :

1—Kautzsch, Grammatik des Biblisch - Aramaischen (1884)

2— Marti, Gramm. der Biblisch - Aramaischen Sprache (1896)

3— H. L. Strack, Grammatik des Biblisch - Aramaischen. (4e éd. 1905)

وقد ألحقت كتب الصرف هذه بنصوص والفاظ.

والقواميس العبرية كلها تتضمن الكلمات الواردة في الاقسام الارامية من الكتاب المقدس.

(٢) راجع بيان الالفاظ الارامية في العهد الجديد في كتاب :

M. Sheltzo, Grammatik der aramäischen Muttersprache Jesu. (Berlin 1899)

وهذا العنوان خلاب والكتاب دون ذلك قدراً

﴿ ٧ ﴾

يجدر بنا بعد آرامية الكتاب المقدس أن نشير الى اللهجات اليهودية التي وقفتنا عليها وثائق ذات كثرة نسبية .

كانت فلسطين في عهد المسيح قد انتشرت فيها اللهجة الآرامية كل الانتشار منذ أكثر من قرن ومن المؤكد أنه كان بين نطق أهل اليهودية ونطق أهل الجليل تباين في اللهجة . وهناك ما يحملنا على أن نميز لهجة اليهودية من لهجة الجليل . وشهادة الانجيل في هذا الصدد صريحة فان بطرس الرسول لما أنكر أنه من تلاميذ يسوع أجيب : « انك جليلي ولهجتك تنم عليك » . ومع هذا فانا لا نعرف شيئاً عن اللهجة الجليلية التي تكلم بها المسيح والرسل . واللهجة التي نجدها في الوثائق الادبية متأخرة العهد . وما المحاولات كلها لاعادة الجمل التي حفظت في الاناجيل باليونانية الى هيأتها الاصلية الا من قبيل العبث . وأقدم ما لدينا من الآثار الادبية التالية للكتاب المقدس يهودي الاصل .

وقد كانت مراكز الدروس التي خرجت منها هذه الوثائق منذ خراب اورشليم (سنة ٧٠) الى حرب هدريانوس (سنة ١٣٨) في غرب اورشليم حوالي اللد . وقد دحرت حرب هدريانوس هذه المدارس الى الجليل شمالا وخاصة الى طبرية . ولاريب أن أول العلماء المهاجرين كانوا يتكلمون باللهجة اليهودية في بلاد الجليل نفسها . ولما كانت الآثار الأدبية التقليدية التي حملوها معهم مكتوبة بهذه اللهجة فقد كان لابد من ردح من الدهر حتى تتغلب اللهجة الجليلية في مدارسهم . ولا يتضح تغلب الجليلية تغلباً بيناً الا في الوثائق التي كتبت ما بين القرن الرابع والسادس وهي لم تغمر مع ذلك اللهجة اليهودية الى حد تزول عنده آثارها . وفي هذا ما يبين لنا السبب الذي من أجله تباين جليلية هذه النصوص اللهجة الفلسطينية المسيحية لغة وصرفاً مع انها تكاد

تكون معاصرة لها اكثر من مباينتها للهجة اليهودية وهي أقدم منها عهداً .

وهناك لهجة ثالثة كان يهود بابل يتكلمون بها . وقد كانت أكثر مدارسهم ازدهاراً في عهدمدر يانوس هي مدارس صورا Soura و بمباديتا Poumbedita وآثار هذه اللهجة خاصة بالآرامية الشرقية . وهي تحتوي على عناصر يهودية وجليلية غير أن العنصر الغالب فيها هو آرامية ذلك القطر التي تتميز بسهولة لمشابهتها بالماندية التي سنتكلم عليها في ما بعد .

ولدينا أيضاً مؤلفات ادبية مكتوبة بآرامية مشوبة وسبب ذلك انها وضعت في عهد متأخر . فان طوائف طبرية اليهودية عادت الى الانضمام بعد مغادرة هرقليوس لسوريا . وأوفد جماعة من علماء الجليل الى بابل ليعيدوا التقاليد الفلسطينية القديمة فرجعوا بها في ثوب من اللغة قد تبدل تبدلاً محسوساً . وعندها نشأت لهجة تكاد تكون جديدة فيها بعض التصنع لا تنعكس عنها لغة الجمهور الحقيقية الا على وجه مشوه كل التشوه .

والآرامية التي حلت العربية محلها لم تعد حوالي سنة ٨٠٠ محكية في الجليل وقد شهد الكاتب اليهودي سعديا Saadia بعد قرن باضمحلالها ودعاها «لغة آبائنا»

وهذا التمهيد البسيط يدل على مبلغ الصعوبة في ترتيب الوثائق الخاصة بكل من هذه اللهجات ترتيباً دقيقاً إذ لا تخلو واحدة منها تماماً من تأثير لهجة غير تلك التي كتبت بها في الأصل (١)

والوثائق التالية خاصة بلهجة اليهودية :

١ — التاريخ الصغير المعروف باسم (مجلة تعنيت) أو «ملف الصوم» وهو نوع من التقاويم يعدد الأيام التي يحظر فيها الصوم لأنها أعياد وضعت ذكرى

(١) تبع التقسيم الذي جرى عليه دلمن Dalman

لبعض الحوادث السارة. وهو مزود بشرح بالعبرية . ويزعم التقليد اليهودي أنه سابق لخراب الهيكل. فاذا صح ذلك للنص فقد ألحقت به اضافات لانه يذكر موت تراجان (سنة ١١٨).

٢ — ترجوم اونكلوس الشهير ولغته أقرب الى آرامية الكتاب المقدس منها الى كل كتاب من نوعه . وسبب هذا انه ليس شرحاً شفوياً بل ترجمة آرامية حرفية للتوراة العبرية . والمظنون انه اثر فلسطيني وضع في بابل . ولم تتفق التقاليد التلمودية على واضع هذا الترجوم فبعضها يرى انه وضع حوالي منتصف القرن الأول من العهد المسيحي وهو الرأي الأرجح والبعض الآخر يرى انه وضع بعد ذلك بمئة سنة .

٣ — ترجوم يوناثان على الانبياء . وهذا بالعكس شرح حقيقي ويرجع عهده الى القرن الأول غير انه قد تداولته أيدي المحررين ولم تثبت صيغته النهائية الا في القرن الرابع او الخامس.

٤ — عدد من الأحكام والالفاظ وبعض قطع ايضاً منبثة في ابحاث مختلفة من التلمود

٥ — تاريخ انطيوخوس أو اخبار اضطهاد انطيوخوس ابيفانيوس وانتصار المكابيين وقد كانت ترجمة هذه المجلة العبرية معروفة منذ زمن طويل ولم يكشف النص الآرامي الأصلي الا سنة ١٨٥١ وهذه المجلة بين الوثائق التي ذكرناها هي الوحيدة التي نجد في لغتها المطابقة العظمى لآرامية الكتاب المقدس. وليس في ذلك ما يدعو الى الدهش فان واضعها تعمد ان يتحدى انشاء دانيال. ولا ريب ان هذا الأثر قد وضع بعد التلمود ومن المرجح أنه لا يرتقي الى ما وراء القرن الثامن.

والوثائق التالية خاصة بلهجة الجليل :

١ — الاقسام الآرامية في تلمود اورشليم

٢ — قطع آرامية كثيرة أدرجت في « مدراشيم » فلسطينية الأصل (عن سفر التكوين و سفر اللاويين و المراثي ونشيد الأنشاد).

والوثائق التالية خاصة بالآرامية المشوبة :

١ — ترجومات اورشليم الاول والثاني و الثالث على التوراة (ناقصة) وسميت كذلك جرياً على تسمية ناشريها الاولين . ويرتقي عهدها في الراجح الى اواخر القرن السابع .

٢ — ترجوم اورشليم (مجزأ) على الانبياء و واضعي سير القديسين

٣ — سفر طوبيا الآرامي الذي يرتقي عهده الى القرن السابع على الرأي الأرجح .

٤ — ترجمة سفر الجامعة الآرامية .

٥ — الاضافات الآرامية الى سفري دانيال واستير .

٦ — عدد من المواعظ (هجادا) الآرامية (١)

---

(١) طبعت النصوص عدة طبعات .ولا يسعنا الا أن نحيل القارئ على التمهيد فى صرف دلمن وفى الامكان مراجعة المؤلفات التالية :

1 — E. Schürer. Geschichte des Judischen Volkes im Zeitalter Jesu Christi [passim]
2 — H.L. Strack. Einleitung in den Talmud [4e éd., leipzig, 1908]
3 — G. Dalman. Grammatik des Judischen - palestinischen Aramaisch. [2 e éd., Leipzig. 1905.]

وراجع القواميس الآتية :

1 — J. Buxtorf. Lexicon Chaldaicum Talmudicum et Rabbinicum. Bale, 1640 [nouv. éd. par Fischer. Leipzig. 1869]
2 — J. Levy. Chaldaisches Worterbuch über die Targumin (Leipzig. 1867)
3 — M Jastrow. Dictionary of Targumim. etc [Londres. 1886 - 1903]
4 — G. Dalman. Aramaisch - neuhebraisches Handworterbuch [Francfort a. M., 1901]

﴿ ٨ ﴾

كثير من الالفاظ التي ذكرناها في ما تقدم (ترجوم ، مدراش ، هجادا وغيرها) مألوفة عند المستشرقين وقد لا تكون كذلك عند غيرهم الذين يحق لهم ان يدهشوا اذا لم نوافهم بشرح قصير لهذه الالفاظ

(ترجوم) كلمة آرامية تعني «ترجمة او تأويل» ومن هذا الأصل نفسه جاءتنا بطريق العربية كلمتنا القديمة الفرنسوية (truchement) وصورتها الحديثة (Drogman)· وقد ظلت العبرية لغة اليهود المقدسة ، ولكنها لما لم تعد مستعملة للتخاطب أصبح من الضروري أن تترجم الاسفار المقدسة للشعب . وقد وضعت الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية ليهود الاسكندرية . ووضعت كذلك تراجم بالآرامية في الاقطار التي كان أهلها يتكلمون بهذه اللهجة . وكانت النصوص المقدسة في بادئ الامر تشرح للسامعين ، فكان الكاهن بعد قراءة نص بالعبرية يترجمه باللغة الدارجة ويضيف الى الترجمة شرحاً عند الحاجة . وهذه الترجمة الشفوية التي وضعت في ما بعد كتابة هي ما يدعى « ترجوم » . فيستنتج من هذا ان الكتب من هذا النوع تختلف باختلاف ما يعلق عليها من الشروح قلة او كثرة

(التلمود) أي «التعليم» كتاب غريب في بابه لا مثيل له في أي أدب . وينبغي لمن يريد ادراك نوعه أن يعرف شيئاً من العناصر التي يتألف منها .

في القرون الاولى من عهدنا نجد الى جانب أقدم الترجمات شروحاً مطولة لبعض نصوص الكتاب المقدس . وهذه الشروح تدعى (مدراشيم جمع مدراش أي « مبحث » . وكان القصد من هذه المباحث اما تفسير الشريعة وحل المسائل التي لها علاقة بالذمة واما وعظ السامعين وارشادهم . ففي الحالة الأولى

يدعى الشرح (حلقة) أي «صوتاً» وفي الحالة الثانية [illegible] ([illegible]) أي «خطاباً مستظرفاً» وعلى هذا تكون (الحلقة) [illegible] ([illegible]) موعظة وارشاداً . ويطلق اسم (مدراشيم) [illegible] الاخص على الشرح الثاني ومجموع «المدراشيم» يؤلف الأدب [illegible]

الحلقة بالعكس أساس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهما «المشنة والجمارة» من نوع «الحلقة» [illegible] [illegible]

بعد خراب اورشليم أعاد الرباني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] «تنائيت» أي «المراجعين» [illegible] [illegible] [illegible] الكبير في بيتيل فواصلت هذه المدرسة تعليم [illegible] [illegible] [illegible] الى أواخر القرن الثاني نقل الرباني يهوذا الملقب بالقديس [illegible] الى صفورية في الجليل واثبت ذلك الفقه الشفوي كتابة [illegible] ([illegible]) أي «المراجعة» لان التعاليم التي جمعت في هذا الكتاب [illegible] [illegible] [illegible] كانوا يشرحونها والتلاميذ الذين كانوا يرددون [illegible] [illegible] [illegible] الاتوول هذه اللفظة بأنها «مراجعة الشريعة» أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى الاشتقاق الذي لا ينافي في الحقيقة هذا [illegible] وقد كتبت (المشنة) بالعبرية

وبعد موت الرباني يهوذا نقل السنهدرام الى طبرية [illegible] اسم (تنائيت) مستعملاً . والذين كان يطلق عليهم هذا الاسم حل محلهم (الاموره) أي «الشراح» الذين كان عليهم أن يشرحوا (المشنة) [illegible] لهذا الشرح من الحظ الادبي ما كان المشنة نفسها . [illegible] [illegible] الامر شفوياً ثم أثبت كتابة في الربع الاول من القرن الخامس [illegible] [illegible] وهذا الشرح المكتوب الذي وضع بالآرامية أطلق عليه اسم ([illegible]) أي « [illegible] [illegible] »

فالمشنة بالاختصار شرح الشريعة [illegible] [illegible] [illegible] المشنة «بالآرامية» وكلاهما يؤلفان التلمود

والمشنة في المخطوطات وكثير من الطبعات تكون في وسط الصفحة ويحيط بها نص الجمارة الآرامي . وقد زاد الربانيون المتأخرون في الهامش بعض حواشي تفسيرية للكلمات او التعابير الغامضة وهذه الحواشي قد اوردت في الطبعات ايضاً .

وهناك تلمودان : تلمود اورشليم الذي اشرنا الى اصله في ما تقدم والذي ينبغي ان يدعى على الاصح التلمود الفلسطيني . وتلمود بابل الذي سنتكلم عليه في ما يلي لان جمارته قد كتبت بالآرامية الشرقية وجمارة تلمود اورشليم كتبت بالآرامية الغربية .

وينقسم التلمود الى ستة اقسام تدعى : ١ - الزرايع ٢ - الاعياد ٣ - النساء ٤ - الاضرار ٥ - الاشياء المقدسة ٦ - انواع التطهير . وكل قسم ينقسم الى كتب او مباحث وهذه تنقسم الى فصول وتنقسم الفصول الى اجزاء . ويبلغ عدد المباحث ٦٣ مبحثاً وعدد الفصول والاجزاء يختلف قليلاً في المخطوطات والطبعات (١) .

﴿ ٩ ﴾

وصلت الينا بقايا من الادب المسيحي الفلسطيني مكتوبة بلهجة تقرب من لهجة الترجومات الفلسطينية وتلمود اورشليم وتخالفها خاصة بما أصابها من تأثير سريانية ما بين النهرين . ولا يزال أهل العلم يتباحثون في أصل الطائفة المسيحية التي كانت تستعمل هذه الوثائق . والظاهر انها ارثوذكسية واستنتجوا من هذا أن أئمة هذه الطائفة من اعتياد الكتب المستعملة عند اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة وعند النساطرة حملتها على وضع ترجمة جديدة للاسفار

(١) للاستزادة في التفصيل ورجوعاً الى المؤلفات فعليك بالكتاب التالي :

H.L. . Strack, Einleitung in den Talmud, 4e éd., (Leipzig 1908)

المقدسة بلهجتها الخاصة التي تنزع الى [illegible] لا الى لهجة الجليل والمخطوطات المعروفة ترتقي عهدها الى [illegible] القرن الثامن والقرن الحادي عشر غير ان النصوص أقدم من ذلك [illegible] بها الى القرن الخامس - كما يرى نولدكه Nöldeke [illegible] يوستنيانوس أو هرقليوس (كما يرى [illegible] Burkitt)

وقد نشر كل ما وجد من آثار هذا الأدب [illegible]

١ — قراءات كثيرة من نصوص الكتاب المقدس [illegible] يكاد نص الاناجيل يذكر فيها كاملا [illegible] العهد القديم (١)

٢ — قطع مخطوطات عثر عليها في مصر(٢) [illegible] وجدت في دمشق سنة ١٩٠٠ [illegible] (وهي خلاصات من العهد القديم والجديد والطقوس الدينية [illegible] الشهداء ومواعظ مترجمة عن اليونانية (٣)

واهمية هذه الآثار اللغوية عظيمة [illegible] فيها لغة لم تخضع بعد لقوانين صرفية [illegible] ولا الى [illegible] كما هو

(١) — راجع للوقوف على النصوص :

[illegible]

(٢) — راجع للوقوف على النصوص :

[illegible]

(٣) — راجع :

Schulthess [illegible] Fragmente [Berlin, 1905]

شأن لهجة الرها . فان كتابة المخطوطات المسيحية الفلسطينية نوع خاص له ميزات معينة (١)

﴿ ١٠ ﴾

ينبغي أن نذكر اللهجة السامرية الى جانب اللهجتين اليهودية والمسيحية الفلسطينيتين . والسامريون «سكان السامرة» كانوا هم يدعون أنفسهم « بني اسرائيل » أو (شومريم » حراس » (الشريعة) . واصلهم معروف لدينا . فأن سرغون ملك أشور لما استولى على السامرة سنة ٧٢١ قبل المسيح جلا معظم اهلها وأحل محلهم جالية من رجال الشعوب المغلوبة . ومن هذا المزيج ومن بقايا السكان القدماء تألفت طائفة السامريين الذين كانوا دائماً في عداء مع جيرانهم اليهود منذ عاد هؤلاء من الجلاء . وتبقت هذه الطائفة بعد تخريب تيطس لاورشليم (سنة ٧٠م) ويظهر انها نمت ايضاً قليلاً في القرن الخامس . غير انهم قتل كثيرون منهم في عهد يوستنيانوس لما حاولوا التمرد واصابهم الضيم في القرون التالية بسبب الفتح العربي . واصبحوا اليوم بضع مئات يقيمون في مدينة نابلس الصغيرة على مقربة من خرائب مدينة السامرة القديمة في سفح

---

(١) راجع للاطلاع على الادب القديم .

R. Duval, La Littér. Syriaque, 3e éd., p. 46 — 47

وراجع للوقوف على الادب الادبي :

Burkitt, Palestinian Literature (Journal of Theological Studies, III, 170)

وراجع كتاب الحروف :

Nöldeke, Ueber den Christlich - Palaestinischen Dialekt (ZDMG XXII, p. 443)

وراجع القواميس :

1 — Schwally, Idioticon des christlich Palaestinischen Aramaeisch (Giessen, 1893)

2 — Fr. Schulthess, Lexicon Syropalaestinum (Berlin, 1903)

جبل جرزيم مكان عبادتهم المقدس (١)

والسامريون لا يعتقدون من أسفار الشريعة الإسرائيلية إلا أسفار موسى الخمسة (التوراة) وليست توراة السامريين سوى نسخة عن التوراة العبرية بخط خاص (٢) غير أن الحاجة دعت إلى ترجمتها بلغة عامية كما كان الأمر عند اليهود وقد نشأ عن هذا الترجوم السامري مكتوباً بلهجة آرامية (٣) وفي هذا الترجوم مشابهات كثيرة بترجوم أونقلوس وهذه المشابهات ناجمة عن رواية شفوية عامة [illegible] قد تكون أساساً للتراجم كلها. وقد وضع الترجوم السامري في الغالب الأرجح في القرن الرابع من العهد المسيحي [illegible] عددها قليل جداً ولم يعد يستعمل [illegible] في القرن الحادي عشر على الأكثر وإنما كانت نسخه نادرة (٤)

ومن آثار أدب السامريين الآرامي [illegible] شعرية لمرقة [illegible] يكون أقدم [illegible] معاصراً للترجوم (٥)

وكانت اللهجة السامرية من حيث [illegible] الآرامية أقرب [illegible] اللهجة الجليلية

(١) [illegible]

[illegible]

منها الى سائر اللهجات الفلسطينية . وقد ظن البعض أيضاً قديماً أن في هذه اللهجة آثاراً من الجليلية في صور غير مألوفة . ولكنهم اليوم يعزونها صوابياً الى خاطرات النساخ الذين كانوا ينسخون الأسفار في زمن لم تعد اللهجة الآرامية مستعملة فيه لحلول العربية محلها . (١) وسامرية الأدباء في أيامنا هذه هي عبرية مشوهة كل التشويه علاقاتها باللهجة القديمة بعيدة جداً ويكاد تعيينها يكون متعـــــذراً .

﴿ ١١ ﴾

كانت الآرامية الغربية لغة التدمريين أيضاً . ولسنا نعرف شيئاً عن منشاء هذا الشعب الصغير . وقد كان التدمريون أيام استيلاء بومبيوس على سوريا المستودعين لتجارة الشرق مع آسيا الصغرى والغرب كله وكانت قوافلهم المجهزة أحسن تجهيز ترافق سلاح الجند للمحافظة عليها في الصحراء من مصب دجلة الى مدينتهم التي كانت المركز الكبير للتجارة الخارجية واصابت بذلك ثراء لا تزال خرائبها البديعة تشهد به حتى يومنا هذا . وقد أطلعنا مؤلفو اللاتين (ابيانوس Appion وزوزيم Zozime وفوبسكوس Vopiscus وتريبـاليوس بولبون Trebellius Pollion واميـانوس مـار سلينوس Amm. Marcellin) على تاريخ هذه المدينة منذ كان لحكومة تدمر صلة بالامبراطورية الرومانية ولا سيما في الزمن الذي سبق مباشرة سقوط زنوبيا وتخريب كتائب اورليانوس الغالية للمدينة (سنة ٢٧٣) . وما وافانا به هؤلاء المؤلفون من الأخبار قد زاده شرح المخطوطات التدمرية ايضاحاً .

---

(١) — راجع من كتب الصرف

1— Uhlemann. Institutiones linguae Samaritanae 1837

2 — Petermann, Brevislinguae Samaritanae Grammatica 1873
Castillus, Lexicon heptaglotton 1669

راجع قاموس

وهذه المخطوطات تقفنا سنة فسنة على تدرج طمع زعيم تدمر في النمو . فهذا الزعيم قد غدا على التوالي القنصل الأشهر Clarissimus Consularis والمولى Dominus والملك Rex وملك الملوك Rex regum والامبراطور Imperator وحمل لقب اغسطس Augustus أيضاً مدة بضعة اشهر . وهذه المخطوطات هي عدا ذلك كل ما بقي لنا من الأدب التدمري هذا اذا كان التدمريون قد حظوا بأن يكون لهم أدب (١)

واقدم المخطوطات التدمرية يرتقي عهده الى السنة التاسعة قبل المسيح وأحدثها يرتقي الى سنة ٢٧١ من العهد المسيحي وسائر المخطوطات يتخلل الأمد المتوسط. والمعروف عندنا اليوم من هذه المخطوطات يبلغ نحو خمس مئة ومنها عدد كبير مؤرخ بالتاريخ السلوقي وحده لأن التدمريين لم يكن لهم تاريخ خاص وكثير من هذه المخطوطات مكتوب باللغتين (٢) : اليونانية والآرامية . وأطولها وأغربها تعريفة مكوس كبيرة مكتوبة باليونانية والتدمرية أعلنها مجلس الشيوخ المحلي سنة ١٣٧ (وقد نقلت الى متحف المنسك Ermitage في بطرسبرج) . والقسم التدمري يشمل نحو ١٧٥ سطراً وقد امحى بعض جهاته لسوء الحظ (٣) . والوثائق الأخرى كتابات تكريمية حفرت على

(١) — نشر Wood ثلاثة عشر مخطوطاً منذ سنة ١٧٥٣ في كتابه Les ruines de Palmyre, Tedmor [illegible]

ثم [illegible] مجموعة مهمة نشرها [illegible] M. de Vogüé سنة ١٨٦٨ في كتابه Syrie Centrale. Inscriptions sémitiques [150 nos]

ومن بعده مجموعات أصغر كل من [illegible] Clermont-Ganneau و Mordtmann [illegible] Sachau و Chabot [illegible] Euting [illegible]

[illegible] Lidzbarski Handbuch der nordsemitischen Epigraphik

(٢) — راجع المخطوطات [illegible] Waddington, Recueil des inscriptions grecques et latines de la Syrie

(٣) — كشفها لازارو Lazarew ونشرها [illegible] M. de Vogüé في Journ. asiat. 1883

قواعد تماثيل أقيمت اجلالاً لبعض الامراء او بعض كبار زعماء القوافل كانوا قد نجحوا في بعثاتهم التجارية ، وكتابات دينية (وتدشين عمد وهياكل منذورة وغيرها) ، وكتابات ضريحية عديدة ، وعدد كبير من الصفائح والأقراص التي لم يقدر استعمالها حتى الآن أتم التقدير . وهذه الآثار التي عثر عليها في تدمر نفسها هي الآن منبثة في متاحف أوربا واميركا وفي مجموعها أدلة ثمينة على ديانة التدمريين ومدنيتهم .

وقد عثر الباحثون أيضاً على مثل هذه الآثار في أماكن في جوار المدينة (منها القريتين وهي نزالة Nazala القديمة) وأيضاً في اقطار بعيدة مر فيها التدمريون في أسفارهم التجارية أو لما كانوا يخدمون في الجيوش الرومانية كاساورة خاصة . وفي هذا ما يدلنا على السبب في وجود الخطوطات التدمرية في مصر والجزائر وايطاليا والمجر وانكلترا .

واللغة الآرامية تطابق من حيث الجوهر آرامية الكتاب المقدس ولها صلة كبرى بالنبطية غير ان اللغة خالصة من كل شائبة عربية . ولكنها بعكس ذلك استعارت ألفاظاً من اليونانية ولا سيما المصطلحات الفنية (١) . والخط أبسط جداً من النبطي وأكثر اتساقاً ويقرب من الخط السرياني القديم .

---

(١) راجع كتاب الصرف Noldeke. Ueber Orthographie und Sprache der Palmyrener [Z. D. M. G. t. XXIV: 1870]

وراجع القاموس Ledrain, Dictionnaire des noms propres Palmyréniens, Paris. 1887

[في هذا القاموس عيوب]

﴿ ١٣ ﴾

كان النبطيين الذين وصفهم لنا سترابون (Strabon [illegible]) حوالي العهد المسيحي مملكة قدرة أصبحت فيما بعد (سنة ١٠٦ بعد المسيح) الولاية الرومانية العربية . وكان النبطيون سنة ٣١٢ قبل المسيح شعباً قوياً تمكن من مقاومة جيوش انتيغونس و[illegible] وكانوا وقتئذ يحتلون شمال بلاد العرب وبلاد الادوميين [illegible] شرقي بحر الميت واستولوا فيما بعد على سوريا الجوفاء ودمشق [illegible] النبطيون تجارة بلاد العرب مع الغرب كما حكر التدمريون تجارة خليج العجم

وفي المانيا رأي مسلم به يزعم ان النبطيين [illegible] اتخذت الارامية لغة أدبية أو لغة ظهور فقط لانشاء المخطوطات [illegible] روبانس دوفال Rubens Duval أن النبطيين كانوا آراميين [illegible] في العرب ولا سيما منذ فقدوا استقلالهم السياسي . وفحص المخطوطات يؤيد عين هذه النظرية . وأقدم هذه المخطوطات [illegible] عربية ويرتقي عهده الى القرن الاول قبل العهد المسيحي . واخذ [illegible] منذ القرن الاول من العهد المسيحي وذلك أولاً في المخطوطات الآتية من الجنوب (مدائن صالح والحجر) واحدثها (٢٦٨ مسيحية) خالط [illegible] كلمات عربية وآرامية . وقد أتى ديسو Dussaud الى متحف [illegible] بمخطوط وجده في النمارة (في حوران) وعليه تاريخ سنة ٣٢٨ [illegible] العربية والكلام مكتوب بالحروف النبطية . وهذا أقدم آثار الأدب العربي [illegible] والكتبة العرب أنفسهم كانوا دائماً يعدون النبطيين [illegible] . وإذا استطعنا أن نثبت أن منشأهم بلاد العرب فينبغي أن نسلم [illegible] الآرامية اصطبغوا تماما بالصبغة الارامية لما قاموا بدورهم التاريخي .

ولسنا نعرف اللهجة النبطية الا من المخطوطات [illegible] اكتشف منها حتى الآن نحو اربع مئة ما خلا المخطوطات السينائية . ومعظم هذه المخطوطات [illegible]

عليه في بصرى وما جاورها وفي البطراء عاصمة المملكة وفي بلاد العرب نفسها في تيماء ولا سيما في الحجر ونواحيها. غير ان النبطيين كسائر الشعوب التجارية قد خلفوا آثاراً خارج بلادهم في الاماكن التي قصدوا اليها. فقد عثر على مخطوطات نبطية في مصر وفينيقية حتى في ايطاليا في بوزول وروميه حيث كان لجاليتهم معبد (١)

وعلى صخور سيناء كتابات عديدة محفورة يزعم تقليد يهود الاسكندرية الذي جاء به (كوزما انديكوبلوست) انها عبرية وانها من عهد موسى. غير ان هذه الكتابات نبطية كما تحققه بير Beer منذ سنة ١٨٤٠ وبعضها مؤرخ وعلى أقدمها تاريخ سنة ١٥٠ وعلى احدثها تاريخ سنة ٢٥٢ مسيحية وقد نقشت كلها الا قليلا في الأمد الذي يتوسط هذين التاريخين. ولا تتضمن في الغالب الا اسماء أعلام وبعض جمل قصيرة ويبلغ عددها زهاء ثلاثة آلاف ٢)

والى جانب المخطوطات ينبغي أن نذكر المسكوكات النبطية التي كانت عوناً كبيراً على تقرير سياق الملوك النبطيين. ونعرف للنبطيين سلسلة ملكية تكاد تكون متصلة منذ عبيدة الاول (نحو سنة ٩٠ قبل المسيح) الى آخر ملك نبطي وهو مليكو الثالث (سنة ١٠٦ بعد المسيح ٣)

---

(١) - أكثر الباحثين عملا على تنمية الثروة العلمية بجمعهم مخطوطات نبطية هم: دى فوغويه De Vegné وهوبر Huber وضوطى Doughty واويتنغ Euting وكذلك البعثتان الامريكيتان فى سوريا بادارة بوتلر Butler ومدرسة الكتاب المقدس بالقدس أيضاً — وقد نشرت النصوص فى المؤلف
Corpus Inscript. Semit. Pars II, nos 157 — 489
وقد ذكرت فى هذا المؤلف المؤلفات السابقة. — والمخطوطات التى اكتشفت حديثاً | وبينها ما هو مهم للغاية | تؤلف مادة ملحق متوسط الحجم آمل أن أتمكن من نشره سنة ١٩١١ ويمكنك الان أن تراجع.
Recueil d'archéologie orientale de Clermont - Ganneau
حيث أشير الى أهم الكشوف ونوقش فيها بفكر ثاقب.

(٢) — راجع Corpus. Nos 490 - 3233 فقد أضفت الى هذا المؤلف دليلا خاصاً كاملا. وقد نقل قديماً بضع مئات من هذه المخطوطات كل من غراى Grey ولبسيوس Lepsius ولوتان دى لافال Lottin de Laval وغيرهم. وجمع اويتنغ Euting « سنة ١٨٩١ » منها زهاء ٦٠٠ مخطوط. وقد اوفدت اكادمية المخطوطات بانديت Bénédite في هذه المهمة فنسخ من هذه المخطوطات ما يقرب من الالفين حوالى ذلك العهد. والاشارة الى المؤلفات الخاصة بهذه المخطوطات تشغل أكثر من صفحة فى المؤلف
Corpus (t.I, P. 356 - 357)

(٣) — راجع 1 — Dussaud. Numismatique des rois de Nabatène (Journ.as., 1904)
2 — Monnaies nabatèennes [Revue Numismatique, 1905].

﴿ ١٣ ﴾

من آثار الآرامية الشرقية تلمود بابل والماندية ولا سيما السريانية. وهناك لهجتان المانوية والحرانية قد بادتا ولم يبق لنا شيء من ادبهما .

وجمارة تلمود بابل نشأ وضعها عن الأسباب نفسها التي من أجلها وضعت جمارة التلمود الفلسطيني فان ذرية الجالية اليهودية التي سبيت الى بابل لم تعد كلها الى فلسطين في عهد كورش بل بقيت هناك عائلات كثيرة لها نوع من النظام الديني بسائرة راس يقال له « امير المنفى » منحه ملوك الفرس بعض السلطة . واستمرت هذه الرتبة في عهد الخلفاء وكانت لا تزال في القرن العاشر والمشنة وهي فلسطينية الأصل كما رأينا نقلها الى الأوساط البابلية ابا أريكا المدعو الرب وهو اول الأمورة الذي أنشأ مدرسة سورة سنة ٢١٩ واصبحت المشنة هناك موضوع مناظرات ومجادلات أشد من تلك التي ثارت في فلسطين . ولم يكن ذلك لجحد مالها من النفوذ بل لشرحها وتأويلها وتطبيقها على أحوال حقيقية أو خيالية ليست قضايا الذمة في القرون الوسطى على ما كانت عليه من الدقة سوى صورة مصغرة عنها ، وكان من شأن كثرة المواد أن يعجل جمعها وتنظيمها في سفر واحد . ولم يكن الأمر كذلك . ولم يشرع في تحريرها الا في القرن الخامس وكان الفراغ منها في القرن السادس وقد يكون الداعي الى تحريرها أو الاسراع فيه سبب عرضي هو اضطهاد اليهود واغلاق ملك الفرس بيروز مدرستهم حوالي سنة ٥٠٠ .

فجمارة تلمود بابل متأخرة كما نرى قرناً واحداً عن جمارة تلمود اورشليم . وهي أوسع من هذه الأخيرة أربعة أضعاف وأوفر منها وعظاً وإرشاداً (هجادا) . ولا شك أن هذا هو السبب الذي من أجله يرى ربانيو القرون الوسطى لتلمود بابل نفوذاً أعظم من نفوذ تلمود اورشليم . غير أن أهل

التمحيص يرون لهذا الاخير قدراً أعظم (١)

﴿ ١٤ ﴾

لا نستطيع لسوء الحظ سوى أن نشير الى أدب المانويين الآرامي. وماني مؤسس هذه البدعة الشهيرة في التاريخ (توفي سنة ٢٧٦) قد وضع تآليفه باللهجة البابلية. وقد استشهد مؤلفو السريان بقطع منها في كتبهم ومن المحتمل أن يكون انشاؤها قد تأثر باللغة الأدبية. وقد تكون هذه الاستشهادات عدا ذلك قصيرة جداً لا يستخلص منها حكم سديد على خصائص لهجتها. وكتب المانويون في ما بعد بالفارسية وظلوا مع ذلك يستعملون الحروف المقتبسة من السريانية. وقد عثر حديثاً في طرفان في تركستان الصينية على ما ليس بالقليل من آثار هذا الأدب الأخير. وليس لدينا شيء من أدبهم الأصلي.

﴿ ١٥ ﴾

ان بدعة المانوية قد بادت اليوم. ولكن بدعة الماندية التي نشأت في القطر نفسه قد تمكنت من الثبات حتى يومنا هذا. واتباعها وهم قليلو العدد يسكنون في نواحي واسط والبصرة في بابل السفلى. ويدعون غالباً في اوربا بالصابئة اوبنصارى دار يوحنا وكلا الاسمين مجهول عندهم كل الجهل ويدعون أنفسهم

(١) تجد مراجع الصرف: Strack. op. supra Land. (§VIII)

راجع من كتب الصرف

I — S. D. Luzzato. Elementi grammaticali del caldeo biblico e del dialetto talmudico Babilonese (Padoue. 1865). Traductions allemande et anglaise.

2 — C. Levias A Grammar of the Aramaic Idiom contained in the Babylonian Talmud (Cincinnati. 1900).

القواميس هي نفسها التي ذكرناها كمرجع لتلمود اورشليم

نصارى أي مسيحيين ، غير ان ديانتهم في الحقيقة بدعة وثنية مشوبة بشيء من اليهودية و المسيحية (١)

والأدب المانديّ الذي وصل الينا يقوم بمخطوطات و كتابات دينية

والمخطوطات تكاد تكون كلها صيغ رقى كتب معظمها بالحبر على كؤوس سحرية (٢) . واقدم هذه المخطوطات واطولها (٢٧٨ سطراً) قد نقش على لوح من الرصاص (٣)

وأهم الكتابات هو : ١ — «الكنزا» (الكنز) أو «سدرا ربا» (السفر الكبير) وهو يدعى عادة «سفر آدم» (٤) ٢ — «سدرا يحيى» (سفر يوحنا[٥]) أو «دراشا دمالكه» (ابحاث الملوك) ٣ — مجموع الاناشيد والمواعظ الخاصة بالعماد وخروج الروح من الجسد ويدعونها عادة «قلاستا» (٦) ٤ — بعض مؤلفات أحدث مما ذكر (تبحث في تكوين الكون و العقائد و واجبات الكهنة والمؤمنين وتكفير الخطايا الخ) ومنها المجموعة المدعوة «ديوان» و «اسفار ملوشة» (سفر البروج)

---

(١) — راجع : (1) — Exposé systématique de l'histoire et des doctrines dans Petermann Reise in Orient (2e éd., Leipzig. 1865) . p. 447 — 465 .
والبيان الذي وضعه هوارت Huart في كتابه: (2) Mission Scientifique en Perse. t. V. ناقص وفيه خطأ في كثير من المواقع .

(٢) — راجع: Pognon Inscriptions Mandaites des coupes de Khouabir (Paris. 1899) وهي مجموعة مهمة يتلوها شرح .

(٣) — راجع: Lidzbarski. Ein mandaisches Amulett (dans Florilgeium Melchior de Vogüé . Paris . 1909)

(٤) — راجع الطبعتين التاليتين: (1) — Norberg. Codex nasaraeus liber Adami appellatus . 1815 (هذه الطبعة مغلوط فيها) النص بالحروف السريانية والترجمة باللاتينية
(2) — H. Petermann . Thesaurus seu Liber magnus. Berlin. 1867: النص بالحروف المندية

(٥) — راجع: النص وحده في Lidzbarski. Das Johannesbuch der Mandaer (Giessen. 1915)

(٦) — راجع: Euting. Qolasta oder Gesange und Lehren etc. (Stuttgart. 1867)

وهذه المؤلفات كلها محفوظة بالخط الخاص بالمانديين و مستخرج من الخط السرياني ويمتاز بان علامات الشكل فيه يعبر عنها بعلامات مقتبسة من الابجدية نفسها كما في اللغات الأوربية (١)

وليس لكتب المانديين على العموم قيمة ادبية غير ان بعض النصوص لا تخلو مع ذلك من نزعة شعرية . وهي تشتمل من حيث الموضوع على آثار كبيرة لتعاليم بدع دينية انقرضت أو عاداتها (كالديصانية والمانوية) فهي اذاً لا تخلو من فائدة لتاريخ الأديان. غير ان لهذه الوثائق من الوجهة اللغوية أهمية عظمى لانها تمكننا أن نتتبع نمو لهجة لم تتأثر بالعبرية كاللهجة اليهودية ولا باليونانية كاللهجة المسيحية . وزد على ذلك أن النصوص نفسها وقفتنا على حقيقة اللفظ . وهذا هو السبب الذي من أجله كان البحث الذي خصه نولدكه Noldeke بالماندية او سع ابحاثه الصرفية القيمة التي وقفها على اللهجات الآرامية المختلفة(٢)

﴿ ١٦ ﴾

نغادر بابل ونرتقي منها الى العراق وهناك نجد أوسع اللغات الآرامية وأغزرها أدباً ، تلك التي خلفت لنا آثاراً عديدة واسعة وفي غاية الاهمية ، اعني بها اللغة السريانية التي تخطت الرهاء موطنها وانتشرت في سوريا كلها مدة عشرة قرون . ونحن نخص بها فصلنا الاخير

ان مدينة حران والواقعة على مسيرة ثماني ساعات في جنوب الرهاء ،

---

(١) — المخطوطات الماندية تذكر في بيانات المكاتب عادة بعد المخطوطات السريانية .والموجود منها في مكتبة باريس الوطنيةمن أكمل المجموعات .

(٢) — راجع: Mandaische Grammatik (Halle, 1875)

ليس للماندية معجم . وقد أخذ لدز باركسي على نفسه أن يسد هذه الثلمة .

مركز المسيحية السريانيـــة ظلت مدة طويلة معقل الوثنية في ما بين النهرين . كان أهلها في القرن الثامن من العهد المسيحي لا يزالون يباشرون الذبائح البشرية . وربما كانوا يفعلون هذا بعد ذلك القرن ايضاً(١)

ولم يصل الينا أقل شيء من أدب الحرانيين. وهذا مما يؤسف له جداً لأن كتاباتهم كان من شأنها أن تقفنا على خصائص لهجتهم وعلى ممارسة ديانتهم وهي خليط من الديانات السريانية القديمة أضيفت اليه عناصر يونانية الاصل ومن المحتمل ان لغة هؤلاء الوثنيين لم تكن تختلف كثيراً عن لغة الرهاويين جيرانهم . وقد أورد بر بهلول في معجمه شروحاً استقاها من سفر الحرانيين وكان ثابت بن قرة أحد كبار كتبتهم في اواخر القرن التاسع يعنى خاصة بترجمة المؤلفات اليونانية الى العربية . ولا شك ان العربية حوالي ذلك العهد قد قضت على اللهجة المحلية

﴿ ١٧ ﴾

لما عدل السلوقيون وهم عرضة للمنازعات الداخلية عن مدافعة الفرثيين عن ممتلكاتهم الواقعة عبر الفرات ، وهي امارات كان يسود فيها العنصر الآرامي ، حلوا ببابل وما بين النهرين وعاشوا عيشاً مستقلا الى يوم فلتهم الجيوش الرومانية . ولم يكن لامارة من هذه الامارات الصغيرة أن تحظى بالشأن الذي حظيت به امارة الرهاء . فان الرهاء عاصمة هذه الامارة كانت مركز الثقافة الدينية وكانت السريانية الرهاوية وهي احدى لهجات الآرامية الشرقية عتيدة أن تصبح بتأثير المسيحية اللغة الادبية والدينية للكنائس كلها ابتداء من فلسطين وسوريا الى اذربيجان وفارس .

ولسنا نفكر أن نثبت هنا ولو بالاختصار تاريخ الادب السرياني فقد

(١) — راجع: Chwolsohn, Die Ssabier und der Ssabismus [St- Pétersbourg 1856]

كتبه أساتذة كبار (١) . وبضع صفحات تكفي لبيان أهميته. وقد قال رينان Renan في كتابه « تاريخ اللغات السامية » : «ان اهمية السريانية العظيمة قائمة بما لها من العلاقة بالدروس اليونانية والمسيحية . . . والآثار السريانية دفعت للتمحيص كثيراً من النصوص المهمة لتاريخ القرون الاولى المسيحية» ولما كتب المؤلف هذه الاسطر كان معظم الوثائق التاريخية التي تؤلف أهم أقسام هذا الادب لايزال مجهولاً أو غير معروف كما ينبغي . وكم من مثل هذه الوثائق لم يكن أحد يعلم بوجوده . واما اليوم فان البيانات (٢) والطبعات العديدة للنصوص والابحاث الوافرة التي سببتها هذه الطبعات (٣) تمكننا أن ندرك ادراكا أصح ما في آثار الادب السرياني المختلفة من العون الكبير لعلماء اللغات والمؤرخين واللاهوتيين (٤) .ويمتد عهد غضارة هذا الادب من القرن الرابع الى القرن الرابع عشر . ويقسم الى ثلاثة عصور : ١ — العصر الوثني ٢ — عصر قيام المسيحية الى الفتح العربي ٣ — عصر قيام الاسلام الى الفتح

---

(١) راجع للوقوف على تاريخ الادب السرياني:

1 — Wright, A short history of Syriac Literature [Londres.1894: réimpression d'un art. de l'Encyclopaedia Britannica; l'auteur suit l'ordre chronologique]

2 — R. Duval. La littèrature syriaque [3e éd., Paris. 1907 disposée selon l'ordre des matières].

ومما يؤسف له أن كلا المؤلفين لم يلحقا بفهرس كالذى ألحق بترجمة رايت Wright الروسية لمترجمها كوكوفزوف P.von Kokowzoff [St-Pétersbourg.1902]

(٢)— العدد التقريبي للمخطوطات السريانية الموصوفة فى بيانات أهم المكاتب الاوربية هو كما يلى لندن (المتحف البريطانى) ٨٥٠ — رومية (الفاتيكان) ٥٥٠ — برلين (المكتبة الملكية) ٣٤٠ — باريس (المكتبة الوطنية) ٣٣٤ — اكسفورد (مكتبة بودلى) ٢٠٥ — كامبردج (الجامعة] ٢١٥ — فلورنس (مكتبة لوران) ٥٠

(٣)— طبعات النصوص وأهم الابحاث عددها نستل Nestle فى كتابه Litteratura Syriaca وعددت فى كتابى تاريخ الادب المذكورين فى الحاشية الاولى.ويشمل بيان المؤلفات بياناً تاماًزهاء الف مادة

(٤) — وضعت لدرس اللغة السريانية كتب صرف ابتدائية كثيرة بلغات مختلفة . ومن كتب الصرف المطولة :

1 — R.Duval, Traité de grammaire syriaque. [Paris. 1881]

2 — Th. Noldeke, Kurzgefasste Syrische Grammatik [2e éd., Leipzg. 1881]

المغولي . وفي القرن الرابع عشر يبتدئ عهد الانحطاط السريع .

وقد بقي من العصر الوثني بضعة مخطوطات وأثر أدبي واحد وهو كتاب من الفيلسوف الزينوني مارا بن سرافيون الى ولده. وكان مارا هذا من شميشاط التي دخلتها المسيحية بعد دخولها الرهاء . وكانت طائفة مسيحية قد نشأت في هذه المدينة الاخيرة في منتصف القرن الثاني .

وتدل لغة المؤلفات المسيحية الاولى على تفانه وتنم على درجة من الثقافة العقلية لا يحتمل معها الشك بوجود أدب سابق راق جداً . وما في اللغة الآرامية من الليان والطواعية وما في نحوها من السهولة والمرونة كل هذا يسهل التراكيب المختلفة . وقد وجدت المسيحية في السريانية آلة تصلح كاليونانية لنشر الآراء الجديدة . ولما كنا لا نستطيع أن نتتبع تدرج هذا الادب في معارج الرقي على مر العصور ، فاننا نقتصر على أن نقول بضع كلمات عن الفصول المختلفة التي يمكن أن ينتظم فيها نتاجه .

١ — **ترجمة الكتاب المقدس وشروحه** : للسريان عدا الترجمة المعروفة بالبسيطة والتي يحتمل أن يكون العهد الجديد فيها من عمل رابولا اسقف الرهاء (المتوفى سنة ٤٣٥) ترجمات أخرى أقل منها انتشاراً ولكنها ليست أقل فائدة لتمحيص النصوص . وقد كان لهم قبل الترجمة البسيطة زمناً طويلاً ترجمة للاناجيل الموحدة « دياطسرون » ، لططيانس وترجمة أخرى للاناجيل منفردة نصها الذي طبعه كوريتون Cureton) والنص الذي وجد في سيناء سنة ١٨٩٣ نسختان مختلفتان . ويرتقي عهد هذه الترجمة الى حوالي سنة ٢٠٠ وقد تكلمنا في ما تقدم (ص : ٢٨١) على الترجمة السريانية الفلسطينية . وفي سنة ٥٠٥ أو ٥٠٨ وضع فيلوكسينوس المنبجي ترجمة جديدة للعهدين القديم والجديد عن اليونانية(١) وبعد ذلك بقرن (٦١٥ — ٦١٧) ترجم بولس اسقف تلا الترجمة السبعينية عن سداسيات اوريجانوس . وفي الوقت عينه

(١) لم يضع مار فيلوكسينوس هذه الترجمة وانما اشار الى خوريفقوس بوليكربس بوضعها ونسبت الى القديس المذكور لشهرته (الناشر)

نقح توما الحرقلي ترجمة العهد الجديد الفيلوكسينية . وفي سنة ٧٠٥ نقح يعقوب الرهاوي الترجمة البسيطة للعهد القديم .

والشروح التي علقها السريان على الكتاب المقدس لو لم يعد الدهر على قسم كبيراً منها وظل باقياً حتى اليوم لملأت مكتبة كاملة . وأشهر هذه الشروح وأقدمها شروح مار افرام (المتوفى سنة ٣٧٣) وهي تكاد تشمل كلا العهدين القديم والجديد وتمتاز بانها كتبت بلغة مضبوطة متينة . وأعظم الشراح الآخرين قدراً عند المونفستيين هم فيلوكسينوس المنبجي (المتوفى سنة ٥٢٣) شارح الاناجيل ، ودانيال الصلحي (المتوفى سنة ٥٤٢ [1]) شارح المزامير ويعقوب الرهاوي (المتوفى سنة ٧٠٨) شارح الاسفار المقدسة كلها وموسى ابن كيفا « ابن الحجري » (المتوفى سنة ٩٠٣) . وشروح ديونوسيوس يعقوب ابن الصليبي (المتوفى سنة ١١٧١) الغزيرة فيها القليل من الابتكار ولكنها كثيرة المستندات . ثم ان مؤلف ابن العبري المدعو « كنز الاسرار » والذي كتبه (سنة ١٢٧٧ — ١٢٧٨) يكون مجموعة ثمينة من التعليق على شروح الكتاب المقدس وتمحيص الترجمات البسيطة والسداسية والحرقلية وعلى الصرف والمعجم السريانيين .

وكان الاعتداد الاعظم عند السريان النساطرة بشروح ثاودورس المصيصي Théodore de Mopsueste الذي ترجمت مؤلفاته كلها الا قليلاً ، من اليونانية الى السريانية في حياته ويلقبونه بالشارح الكامل . الا ان هذه الطائفة لم تعدم جماعة من المفسرين خلفوا لنا مؤلفات كان نصيبها من الدرس والبحث حتى الآن قليلاً . وهناك مؤلف ضخم عنوانه « جنة النعيم » يشتمل على خلاصات شروح مقتبسة من مؤلفات فقد معظمها . والشرح المهم الذي وضعه ايشوعداد اسقف الحديثة (نحو سنة ٨٥٠) قد وصل الينا تاماً . وكذلك كتاب ابحاث ثاودورس بر كوني « القرن الثامن » .

---

(١) اشهر دانيال الصلحي فى سنة ٥٤٢ اما سنة وفاته فمجهولة « الناشر »

وإلينا بالاختصار مؤلفات تفسيرية لنحو أربعين مؤلفاً ثلاثة أرباعها لم تطبع. وينبغي ان نضيف الشروح العديدة المترجمة عن اليونانية التي تعظم قيمتها عند ضياع الأصل. وهذا شأن شروح ثاودورس المصيصي لانجيل مار يوحنا وشرح كيرلس الاسكندري لانجيل مار لوقا.

والى جانب نصوص الكتاب المقدس ينبغي أن نذكر طائفة من المؤلفات لا بد لاولئك الذين يعنون بتاريخ القرون الاولى للكنيسة أن يدرسوها. وهذه المؤلفات هي الحكايات الابوكريفية (المجهول واضعها) عن وجود الصليب المقدس وانجيل طفولية السيد المسيح ورؤيا القديس بولس ورؤيا القديس بطرس وقصص كثيرة خاصة بالعذراء واعمال الرسل الابوكريفية ولا سيما أعمال القديس توما وكتاب دسقالية الرسل (وهو مؤلف فقد أصله اليوناني) والحكايات المصنفة تعاليم ادى كحكاية المراسلة بين ابجر ملك الرها وبين المسيح وحكاية الصورة التي ارسلها المخلص الى هذا الملك والتي نشأت عنها حكاية القديسة فرونيكا الغربية. وغير ذلك كثير من نوع هذه المؤلفات عدا ابو كريفا العهد القديم كوصية آدم ووصية سليمان ورؤيا عزرا وغيرها.

٢ — اللاهوت: والمجال في ميدان اللاهوت الاعتقادي واسع لم يستنفض قسم عظيم منه حتى الآن. فان المنازعات الشديدة التي استهوت كنائس سوريا واقلقتها في عهد مجمعي أفسوس وخلقيدونية والمجادلات العنيفة التي كان ينتظر من هذين المجمعين أن يضعا حداً لها لم تهدأ في الشرق بالسرعة التي هدأت بها عند اليونان (. . . . .)

وأشهر اللاهوتيين عند المونوفسيين هم يعقوب اسقف سروج في ما بين النهرين (المتوفى سنة ٥٢١) وفيلوكسينوس اسقف منبج، وهي هيرابوليس القديمة على مقربة من الفرات، ويعقوب الرهاوي وايوانيس الداري وموسى

ابن كيفا (القرن التاسع) وكذلك ديونوسيوس ابن الصليبي وابن العبري اللذان ذكرناهما بين الشراح. واشهر المؤلفين عند النساطرة هم نرسي (المتوفى سنة ٥٠٧) الذي كتب بالشعر خاصة باسهاب وكانت له مكانة عظيمة عند مواطنيه الذين دعوه: «كنارة روح القدس» وحنانيا الحديابي (المتوفى حوالي سنة ٦١٠) الذي احدث نوعاً من البدعة بين النساطرة لأنه أراد أن يحل شروح القديس يوحنا فم الذهب في المدارس محل شروح ثاودورس المصيصي وباباي الكبير (المتوفى سنة ٦٢٨) مؤلف بحث عن التجسد مهم للغاية ولم يطبع حتى الآن. وفي ما بعد البطريرك طيماثاوس الأول (سنة ٧٨٠ - ٧٨٢) واليا النصيبيني المتوفى سنة ١٠١٨ وعبد يشوع المتوفى سنة ١٣١٨

واشتهر قبل الانشقاق ثلاثة كتبة كبار من الارثوذكس وهم افرهاط المسمى الحكيم الفارسي المتوفى سنة ٣٥٠ ومار افرام والقديس اسحق الانطاكي (في بدء القرن الخامس) ومنذ اواسط القرن الخامس لا نجد مؤلفاً واحداً من (السريان) الارثوذكس ما خلا الاسقف سهدونا الرهاوي الذي ترك النسطورية في عهد هرقل

وليس من غرضنا أن نذكر هنا الترجمات السريانية لعدد كبير من مؤلفات آباء الكنيسة اليونانية منهم انياسيوس الانطاكي وأثناسيوس واوسابيوس القيصري وابيفانيوس وباسيليوس وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس النوسي وكريسوستوموس (فم الذهب) وكيرلس الاسكندري وكثيرون غيرهم. ولكن يجدر بنا ان نقول ان كثيراً من المباحث الهامة قد فقدت في لغتها الأصلية وحفظت في ترجماتها. ويمكننا أن نضيف الى المباحث التي تقدم ذكرها دفاع أريستيد والدفاع المعزو الى مليتون السردي وقطعاً لهيبوليطس وبضع كتابات ابولينارية الاصل ومبحث تيطس البصري ضد المانويين والرسائل العيدية للقديس اثناسيوس ومبحثاً

طويلا لثاودورس المصيصي وكتابات لبرقلس واندراوس الشميشاطي ومؤلفات سويريوس الانطاكي التي ترجم بعضها بولس القاليينيقي في الرهاء حوالي سنة ٥٢٨ في حياة المؤلف . وترجمة المؤلفات المنسوبة الى الأريوباغي والتي قام بها سرجيس الرأس عيني المتوفى سنة ٥٣٦ بعيد ظهور هذه المؤلفات علقت عليها شروح مهمة .

وقد كانت الديورة في سوريا وما بين النهرين كثيرة عامرة وهذا هو السبب في وجود طائفة من المؤلفات والمباحث النسكية . وقد اقتبس السريان الغربيون كثيراً من المؤلفات اليونانية في الحياة النسكية . غير ان النساطرة وهم أقل اتصالا باليونان قد خلفوا لنا مؤلفات مبتكرة أوفر عدداً . واشهر مؤلفيهم النسكيين ثلاثة هم ابراهيم النفتري في اواخر القرن السادس واسحق استقف نينوى في النصف الثاني من القرن السابع ويوحنا سابا (الشيخ) في أواخر القرن الثامن . وقد وقفنا على معظم مؤلفاتهم . وقد وصل الينا عدد كبير من مؤلفات أخرى تبحث في الكمال الديني والحياة الروحية مؤلفوها من النساطرة .

ويجدر بنا أن نذكر أيضاً الأدب القانوني الغزير . وهو يشمل ترجمات قوانين المجامع الاولى واعمالها والقوانين والقرارات التأديبية التي وضعتها المجامع والبطاركة السريان ومباحث في الحقوق القانونية الخ . وقد كان لكل من الكنيستين السريانية الغربية والسريانية الشرقية في القرن الثامن قانوني عظيم فابن العبري عند السريان الغربيين وعبد يشوع اسقف نصيبين عند السريان الشرقيين . وقد جمع هذان المؤلفان وفقاً للمواد في مباحث لا تزال مرعية في هاتين الكنيستين قرارات عديدة كانت منبثة في غير نظام ونمط في المؤلفات السابقة .

والليترجيات السريانية وشروحها التي كانت أفضل قسم من الوثائق

المضمنة في طقسيات رينودوت الشرقية هي من ملحقات اللاهوت أيضاً .

٣ — التاريخ : التاريخ من اكبر فروع الأدب السرياني واعمها فائدة. ولدينا تواريخ عامة تبتدئ من أول الخليقة . وقد كتب أحدها سنة ٧٧٥ ونسبه السمعاني خطأً الى ديونوسيوس التلمحري بطريرك انطاكية « المتوفى سنة ٨٤٥ » ومن المحتمل أن يكون من وضع الراهب يشوع العمودي . ووضع يعقوب الرهاوي تتمة لتاريخ اوسابيوس القيصري حتى سنة ١١٩٦ وتاريخه هو اوسع المؤلفات التاريخية التي خلفها لنا السريان واهمها واختصر ابن العبري مؤلف ميخائيل وأتمه الى عهده « سنة ١٢٨٦ » في مؤلفه المزدوج المدني والكنسي. وقد عثروا حديثاً على تاريخ مجهول واضعه يتلو تاريخ ميخائيل ومن حقه أن يقع بين هذا التاريخ وتاريخ ابن العبري . وهؤلاء المؤلفون كلهم من السريان الغربيين وليس للسريان الشرقيين مثل هذه المؤلفات فان أهم تاريخ عندهم هو تاريخ ايليا النصيبيني الذي كتب سنة ١٠١٩ وهو قسم من مؤلف يقوم قسمه الثاني بنوع من علم المواقيت يبحث في تقاويم الامم المختلفة وحساب ايامها.

والى جانب التواريخ العامة تواريخ خاصة لا تشمل سوى عصر أو قطر معين . واهمها تاريخ الرهاء الذي وضع في النصف الثاني من القرن السادس استناداً الى وثائق سابقة وهو في غاية الاتقان . ومثل هذا يقال عن المؤلف المجهول واضعه عن حرب الفرس « سنة ٥٠٢ — ٥٠٦ » والذي أدرج في التاريخ المنسوب الى ديونوسيوس التلمحري والمنشور باسم يشوع العمودي . والمجموعة التاريخية المعزوة الى زكرياء الخطيب الملطي قد كتبت في اواخر القرن السادس وقسم منها ترجمات عن أصل يوناني والقسم الآخر وثائق سريانية الأصل وهي تبحث خاصة في حوادث القرنين الخامس والسادس الخاصة بكنائس السريان الغربيين في سوريا ومصر وهي كتتمة لمؤلفات يوحنا الأسيوي . وهذا المؤلف الأخير، أحد اساقفة أفسس للسريان الغربيين

وهو آمدي المنشأ وقد عاش في عهد يوستنيانوس ويوستينوس الثاني . والأقسام المحفوظة من تاريخه الكنسي تتضمن ايضاحات مفيدة لم يوردها غيره عن حوادث هذا العصر السياسية والدينية .

وعدد عبد يشوع النصيبيني في كتابه «بيان الكتبة السريان» (النساطرة) وهو نوع من كتب تاريخ الأدب كتب حوالي سنة ١٣٠٠ كثيراً من المؤلفات التاريخية لم يعثر عليها حتى الآن ما خلا تاريخ مشيحا زخا (في أواخر القرن السادس) . وهو تاريخ صغير مهم نشره غويدي Guidi ويسرد الحوادث التي وقعت منذ موت هرمزد ابن كسرى الى سقوط الامبراطورية الساسانية .

ونجد الى جانب كتب التاريخ بالمعنى الحصري مجموعة كبيرة من سير القديسين والتراجم والسير الفردية وهي معدن غزير يستخرج منه المؤرخ بالتمحيص مواد قيمة . وأعمال شهداء الشرق ولاسيما أعمال شهداء فارس أيام اضطهاد سابور الثاني الطويل الأمد (٣٤٠ – ٣٧٩) مملوءة من الحقائق التاريخية والجغرافية . وهذه السير تشتمل على مادة كثير من المجلدات . ولابد أن تكون مجموعة سير القديسين والاعلام المكرمين عند السريان الغربيين منهم والنساطرة أوسع من ذلك أيضاً . ومن اقدم هذه الوثائق حياة مار افرام ورابولا وترجمة مار سمعان العمودي المدهشة ورسائل شمعون الارشمي المتعلقة بشؤون نصارى العرب المدعوين عادة بالحميريين . وكتاب تراجم الطوباويين الشرقيين ليوحنا الاسيوي يتضمن مجموعة سير اعلام السريان الغربيين المعاصرين للمؤلف (القرن السادس) . وترجمة حياة يوحنا التلي وترجمة بطرس الايبري (الكرجي) المترجمة عن اصل يوناني مفقود وكذلك ترجمة حياة سويريوس الانطاكي هي وثائق مهمة للتاريخ الكنسي .

ولما لم يكن تاريخ الاقطار الشرقية المدني والكنسي معروفاً عندنا

كتاريخ سوريا الغربية، كان اسير القديسين والاعلام النساطرة على وجه عام فائدة أعظم عندنا . وتراجم حياة البطاركة مار أباي الاول (سنة ٥٤٠) وسبر يشوع الاول (سنة ٥٩٦) ولاسيما ترجمة حياة يهبلاها الثالث (١٢٨١ — ١٣١٧) أكثر التراجم اسهاباً . وتتضمن هذه الترجمة الاخيرة سفرة الراهب ربان صوما الذي رحل الى باريس سنة ١٢٨٧ كسفير للملك المغولي أرغون . وتاريخ دير عابا النسطوري على مقربة من مركه هو أهم التواريخ الخاصة وقد كتبه توما المراغي سنة ٨٤٠ وهو يتضمن تاريخ الرهبنة وتاريخ الكنيسة النسطورية في مدة تقرب من ثلاثة قرون . وتاريخ دير الربان هرمزد ودير بيت سياره ودير بيت قوقا الذي نجده في ترجمة حياة الربان هرمزد ويوسف بوسنايا أقل من التاريخ المتقدم فائدة وكتاب العفة ليشوعدناح أسقف البصرة (في اواخر القرن الثامن) انتزع أكثره على ما يظهر من كتاب (فردوس الشرقيين) للراهب يوسف الحزاي وهو مؤلف فقد اليوم وكان شبيهاً بالتاريخ المعروف Histoire Lausiaque لبلاديوس ولدينا من هذا التاريخ الأخير نسختان سريانيتان نسطوريتا الأصل .

ويمكننا أن نلحق بسير القديسين القصص التقليدية كقصة أصحاب الكهف السبعة الافسسيين وقصة رجل الله (القديس الكسيس). والمجموعة المعنونة «مغارة الكنوز » من حقها أن تلحق بقصص الكتاب المقدس مع قصة الحكيم احيقار التي نجد شيئاً من عناصرها في المخطوطات البردية الآرامية التي يرتقي عهدها الى القرن الرابع قبل العهد المسيحي . وكتاب « النحلة » لسليمان اسقف البصرة حوالي سنة ١٢٢٠ هو خليط من القصص والتاريخ . و « قصة يوليانوس الجاحد » التي كتبها راهب رهاوي في القرن السادس ليست الا خاطرة تاريخية لها ميزة أدبية كبيرة

ومن الترجمات السريانية للمؤرخين اليونان نذكر فقط ترجمة التاريخ الكنسي لأوسابيوس التي نجدها في مخطوطين قديمين يرجع احدهما بتاريخه الى سنة ٤٦٢ والآخر الى القرن السادس . ويظن ان في اكثر من موضع فيها مخالفة للأصل هي خير من الدروس المحفوظة في النص اليوناني الحالي

٤ — العلوم : ليس من العسير أن ندرك على وجه الصواب حالة المعارف العلمية عند السريان في القرن السابع والثامن. والفضل في ذلك عائد الى المؤلفات الجامعة ككتاب « زبدة الحكمة » لابن العبري المختصر في كتاب « تجارة التجارات » و كتاب « كلام الحكمة » للمؤلف نفسه و كتاب الاسئلة والاجوبة لسويريوس بن شكو البرطلي اسقف دير مار متى بالقرب من الموصل (المتوفى سنة ١٢٤١) . غير ان الفائدة تعظم جداً بتتبعنا تدرج هذه الابحاث في الارتقاء ووقوفنا على المعارف فيها أيام أفضى السريان (ولا سيما النساطرة) بمعارفهم العلمية الى العرب . وقد تفوق هؤلاء كما هو معروف على مرشديهم سريعاً و كان لمؤلفاتهم بضعة اجيال بعد ذلك تأثير عظيم في نشر العلوم في الغرب .

ويعد من المؤلفات الفلسفية أقدم نص سرياني بعد ترجمات الكتاب المقدس وهو محاورة برديصان اللاأدري (ولد في الرهاء سنة ١٥٤) التي كتبها تلميذه فليب وهي تدعى عادة « كتاب القدر » ويمكننا أن نلحق بالمؤلفات الفلسفية كتاب ايروثاوس لمؤلفه اسطفان برصديلي (في اوائل القرن السادس) وأفضل منه المؤلف المجهول واضعه (في القرن الثاني عشر) وعنوانه معرفة الحقيقة ، وهو يذكر غالباً بعنوان « علة العلل » . غير ان غاية دراسة العلوم الخاصة عند السريان كانت والحق يقال درس مؤلفات فلاسفة اليونان ولا سيما ارسطو ونعرف ترجمات كثيرة لكتاب « الايساغوجي » لفرفوريوس . وقد اشتهر في مدرسة الرهاء كل من هيبا وقوما ولا سيما قيورا (في القرن الخامس) بما كتبوه عن ارسطو . الا انهم تضاءلوا أمام الطبيب سرجيس الراسعيني

الذي ترجم كثيراً من مؤلفات هذا الفيلسوف المشائي ترجمة محكمة وشرح عدداً من أبحاثه شرحاً مسهباً . وقد وضع يعقوب الرهاوي كتيباً نشر فيه المصطلحات الفنية الفلسفية . وخلف لنا تلميذه جرجس اسقف العرب الرحل (في القرن الثامن) ترجمة فاخرة للمنطق . وقد امتاز في هذه الدروس عند النساطرة ثيودورس المروزي المعاصر لسرجيس الرأس عيني وبولس الفارسي (في العهد نفسه) . وفي القرون التالية اعتمدت مباديء هذه الفلسفة وشرحت باسهاب في المباحث الجدلية والتعليمية التي وضعها الكتبة الذين سبق أن ذكرناهم بين اللاهوتيين ولا سيما مباحث موسى بن كيفا وايليا النصيبيني .

وكان للسريان ميل كبير للادب الحكمي . وقد خلفوا لنا مجموعات من الحكم الحقيقية أو المفترضة كحكم فيثاغورس ووصايا افلاطون ونصائح تيانون وحكم مناندرس وكذلك مباحث كثيرة لأفلاطون وسقراط ولا سيما بلوترك .

ولم تهمل العلوم الطبيعية والرياضية كل الاهمال . فهناك ترجمات عن اليونانية لعلم وظائف الأعضاء (فسيولوجيا) وعلم الفلاحة وقد وضع ابن العبري مبحثاً في الحساب وآخر في الفلك (الصعود العقلي) . وكتب سرجيس الرأس عيني قبله زمناً طويلاً عن الأبراج وكتب سويريوس سابوخت (في القرن السابع) عن الاسطرلاب .

وما بقي من علم الكيمياء جمعه روبنس دوفال (R . Duval) في المجلد الثاني من كتاب « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى » لبرتلو Berthelot . ولم يبحث السريان في علم رسم العالم (كوزموغرافيا) وفي علم الجغرافيا في مؤلفات خاصة الا في ما ندر . غير اننا نجد عناصر هذين العلمين في شروح عن الخليقة كشروح يعقوب الرهاوي وموسى بن كيفا وعمانوئيل بن شهارا النسطوري (في القرن العاشر) وفي « كتاب الكنوز » لسويريوس بن شكو .

وقد انتج درس الطب بضعة مؤلفات أصلية وعدداً من الترجمات من جملتها ترجمة تحديدات ابقراط وترجمة مؤلفات جالينوس (ترجمها سرجيس الراس عيني) . وكتب ابن العبري الذي كان يعد من مشاهير الأطباء مبحثاً في العقاقير (كتاب ديوسقوريدس) وشرحاً للكتاب « المسائل الطبية » لحنين . وحنين هذا من أكبر مشاهير الأطباء النساطرة الذين أصابوا منزلةً عالية في بلاط خلفاء بغداد في القرنين التاسع والعاشر . غير ان العربية كانت هي السائدة في هذه البيئة خاصة . وقد كتب هؤلاء العلماء معظم مؤلفاتهم بهذه اللغة .

وترجم حنين المتقدم الذكر (المتوفى سنة ٨٧٣) الى السريانية علم البيان لارسطو . ووضع قبله انطون التكريتي مبحثاً في الموضوع نفسه . وبحثه هذا أكثر ابتكاراً وإن كان يستند إلى اصول يونانية. وقد تكلم كل من سويريوس بن شكو وابن العبري على مبادئ البيان والشعر في كثير من مؤلفاتهما . ومزج كتبة آخرون هذين العلمين بالصرف الذي كان موضوع ابحاث عديدة. ولدينا كتب صرفية كاملة وأخرى ناقصة منها صرف يعقوب الرهاوي وصرف ابن العبري المختصر وصرفه الكبير وعنوانه « كتاب اللمع ». ونجد عند النساطرة صرف ايليا الطيرهاني ويوحنا بن زوعبي وكتاب « شبكة النقط » ليشوعياب بن ملكون وكتاب « الاسئلة والاجوبة » لسويريوس بن شكو ومباحث كثيرة في الشكل وغيرها في الاضداد أي الكلمات الدالة على معنيين متضادين . وكانت كتب المفردات هذه تمهيداً للمعجمات الكبيرة . وابن علي (في القرن الحادي عشر) وابن بهلول (في القرن العاشر) اللذان يعد معجمهما الذي نشره روبنس دوفال أثراً لغوياً حقيقياً هما أشهر المؤلفين في هذه المباحث .

٥ — الكتابات الحفرية : أشرنا في الجدول الجاف المتقدم الى أهم المؤلفات في الأدب السرياني . وتضاف الى هذه الآثار الأدبية بضع وثائق حفرية أهميتها النسبية ثانوية . ونعرف كثيراً من المخطوطات الضريحية ترتقي الى

العهد الوثني . ومن المحتمل أن يكون أقدمها مخطوط احدى الملكات (هيلانة الحديابية) المحفور في الناووس الذي وجد في القدس في المكان المدعو قبور الملوك ونقل الى متحف اللوفر . والمخطوطات الأخرى مصدرها الرهاء التي عثر فيها أيضاً على بعض المخطوطات التكريمية . وقد وجد في بيره‌جك مخطوط حجري قديم جداً ولكنه مشوه للغاية .

وتتألف مخطوطات العهد المسيحي الحفرية من آثار تدشينية للكنائس وكتابات ضريحية وتذكارية . وأهم الآثار التدشينية (هو الآن في متحف بروكسل) آت من زبد في الجنوب الشرقي من حلب . وهو مخطوط بلغات ثلاث هي اليونانية والسريانية والعربية . والآثار الأخرى وجد قسماً منها بونيون Pognon ولتمان Littmann في سوريا الغربية والقسم الآخر وجده بونيون في ما بين النهرين . والمئات من المخطوطات الضريحية التي وجدت في المقابر النسطورية في سمرجيتسي في شمال كاشغر تؤلف نوعاً على حدة . ويرجع عهدها الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر والمخطوط السرياني الصيني الشهير الذي وجد في سينانفو والذي لم يعد أحد يرتاب في صحته اليوم يرتقي عهده الى سنة ٧٨١ .

ونذكر أخيراً الكتابات المنقوشة على بعض مسكوكات ملوك الرهاء والتي ساعد فحصها على تعيين أزمان هؤلاء الأمراء (١)

---

(١) ـ المؤلفات السابقة لسنة ١٨٨٨ التي تبحث في المخطوطات الحفرية السريانية ذكرها نستل Nestle. op. cit. p.54. وزد عليها خاصة :

1— H. pognon, Inscriptions sémitiques de la Syrie, Paris, 1907

2— Littmann, Semitic inscriptions, New York, 1904

3— Kugener, Notes sur l'inscript. de Zébed, et sur une inscr. syr. de Dorokjik [Rome, 1908]

4— Eating, Mosaïque syr. d'Ourfah (Florilegium M. de Vogüé, p. 23.)

وراجع بخصوص المسكوكات القديمة :

1— Gutschmid, untersuchugen über die Gesch. des Konigreichs Osroëne (St-Pétersbourg, 1887)

2— Babelon, Mélanges numismatiques, t. II, p. 203 etsuiv. (Paris, 1893)

﴿ ١٨ ﴾

قلنا ان معرفة اللهجات المتحدرة من الآرامية يرتقي عهدها الى المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر · غير ان أهمية هذه اللهجات لتاريخ اللغات السامية قد اتضحت اتضاحاً بيناً حتى ان مؤلفات قيمة لأعظم الاساتذة قد تتابعت بسرعة في هذا الفرع الجديد من الاستشراق (١) ·

وهذه اللهجات تنقسم كالآرامية التي عاشت بعدها الى قسمين: شرقي وغربي·

والقسم الغربي متولد من لغة سوريا العامية القديمة .ولم يعد محكياً في أيامنا الا في قرية معلولا على مسيرة ثماني ساعات أو تسع في شمال دمشق وفي قريتين أخريين مجاورتين يبلغ عدد سكانها جميعاً زهاء ١٥٠٠ نفس (٢) · وكانت السريانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر لا تزال محكية في كثير من قرى لبنان غير ان الأمر لم يعد كذلك اليوم .

والآرامية الشرقية أفضل تمثيلاً فان لغة ما بين النهرين القديمة قد استمرت في لهجة طور عبدين وهو قطر واقع في شمال ماردين ونصيبين · وقد سمي كذلك لكثرة الديورة التي كانت منبثة فيه قديماً .

وهذه اللهجة واللهجات التي سنتكلم عليها في ما يلي تدعى غالباً وليدة السريانية · غير انهذه التسمية لم يحسن اختيارها وشأنها شأن تسمية الايطالية مثلا بأنها وليدة اللاتينية . واللهجات المحكية الحالية ليست متولدة من اللغة التي تدعى السريانية بل هي تتمة ومسخ للغة العامية التي استمرت الى جانب اللغة الأدبية · وفي حين تظهر لنا هذه الأخيرة من القرن الرابع الى القرن الثاني عشر كأنها ثابتة طرأ على الاخرى تبدل محسوس جرياً على قاعدة

---

1 — Cf. Rubens Duval, Notice sur les dialectes néo-araméens (dans les Mém. de la Société de Linguistique t. IX, 1896) —(١)

2 — Parisot. Le Dialecte de Ma'lula. Grammaire, vocabulaire et textes —(٢) [Extrait du journal Asiat. 1898, supplément J. A., 1902]: P. 16 bibliographie des travaux antérieurs.

التطور التي تشمل كافة اللغات المحكية حتى وصلت الى الحالة التي نراها عليها. وسكان طور عبدين وهم يكادون يكونون كلهم مسيحيين، من طائفة اليعاقبة «السريان الارثوذكس» (١).

والفرع الثاني من الآرامية الشرقية المستعمل الآن في كردستان التركية والفارسية من دجلة الى بحيرة اورمية متولد من اللهجة البابلية. وهو يشمل عدداً من اللهجات المختلفة المحكية عند النساطرة واليهود في هذه الأقطار (٢) وكثير من هذه اللهجات كان موضوع أبحاث جدية ومن جملتها اللهجة الفلاحية المحكية في القرى الكائنة في نواحي الموصل ولا سيما في شمالها (٣) ولهجة يهود زاخو على مقربة من الخابور ولهجة جيلو ولهجة تياري (٤) في كردستان التركية ولهجة سلماس المسيحية، ولهجة هذا المكان نفسه اليهودية التي تختلف عن اللهجة المسيحية اختلافاً بيناً (٥) ولا سيما لهجة اورمية المسيحية (٦). وهذه اللهجة الأخيرة عتيدة أن تصبح لغة أدبية بجهود المرسلين

---

(١)—: Prym et Socin, der neuaramaische Dialect des Tur Abdîn (Gottingen, 1881)

(٢)—: ترتيب هذه اللهجات في مؤلف مكلين Maclean (انظر الحاشية الثامنه)

(٣)—: Guidi, Beitrage zur kenntniss des neuaram. Fellihi - Dialectes (1883: dans la Z. D. M. G., t. X X X VII)

(٤)—: E. Sachau, Skizze des Fellichi Dialectes von Mossoul (Abhandl.) der Akadem. Zu. Berlin, 1895).

(٥)—: Lidzbarski, Zeitschr. fur Assyr., t. IX.

(٦)—: 1—R. Duval, Les Dialectes néu - syriens de Salamas [Paris, 1883]

2— Socin, Die neu - aramâischen Dialecte von Ourmiah bis Mossoul (Tubingen, 1882)

3— A. Lœvy, Trans.of Soc. of Biblical Archœology,t. VI;

4— R. Gottheil, Journ. of the American Oriental Society,t.XV.[1893]

5— Lidzbarski, Die neu-aram, Handschriften des Kgl. Bibliothek zu Berlin [Weimar, 1896)

كتب الصرف: 1— Stoddard grammar of the modern Syriac language. [1855]

2 — Noldeke, Grammatik der neu syrischen Sprache, 1868

3 — A. J. Maclean, Grammar of the Dialects of vernacular Syriac [Cambridge, 1895]

معجم: Maclean, Dictionary of vernacular Syriac (Oxford, 1901)

(البروتستانت الامريكان والعازريين الفرنسويين) الذين طبعوا بهذه اللهجة مؤلفات عديدة من كل نوع (كالكتب المقدسة والكتب المدرسية والمباحث الاذاعية والمجلات (١) . ولهذا كانت هي اللهجة التي نعرفها أكثر .

﴿ ١٩ ﴾

لكل من اللهجات الآرامية صرفه الخاص ومعجمه الخاص غير ان حروفها الابجدية عامة في ما بينها وهي الابجدية السامية تلك التي اقتبسها اليونان ونشأت منها أنواع الخطوط الاوربية ولا يزال منشؤها من الغوامض . والفرض القائل انها نشأت من الخط المصري يدلي ببراهين هي في الظاهر أكثر احتمالاً من براهين الفرض القائل انها نشأت من الخط المسماري . غير ان الرأي الاول والثاني تصادمهما مصاعب لا يزال حلها في الوقت الحاضر متعذراً . واقدم نوع من الابجدية الآرامية عرفناه من المخطوطات يقرب من الابجدية الفينيقية في العهد نفسه . غير ان هذه الأخيرة استمرت طويلا على شكلها الزاوي في حين ان الاولى ظهر عليها باكراً ميل الى الشكل الدائري . وقد انتشر الخط الآرامي انتشاراً خارقاً وامتد اكثر من امتداد اللغة نفسها . فانه قد اتخذ صوراً خاصة تتفاوت في البعد عن الصورة الأصلية وفقاً للازمنة والامكنة عند التدمريين والنبطيين والسريان وزاد على ذلك انه استعمل عند الفرس في عهد الامبراطورية الساسانية لكتابة لغتهم نفسها ونقله المانويون الى أواسط آسيا الوسطى . واقتبس المغول ابجديتهم من السريان الشرقيين الذين أنشأوا طوائف مسيحية زاهرة حتى في الصين منذ قبل القرن الثامن .

(١) — عنيت جمعية التوراة الامريكية أيضاً بان طبعت في نيويورك سنة ١٨٩٣ ترجمة كاملة للكتاب المقدس بالسريانية الحديثة .

ولسنا نستطيع أن نبين كيفية اشتقاق الابجديات الآرامية الواحدة من الأخرى وكيفية تطورها مع ميل مستمر الى الاشكال الدائرية الا اذا رسمنا صور الحروف نفسها . ودرس ما طرأ من الاختصار على الخط النبطي الذي غدا الخط العربي،هو مفيد، خاصة لان الوثائق الخطية الحفرية تسهل تتبع تطوره بلا انقطاع مدة أربعة قرون أوخمسة . غير ان تاريخ الخط هذا قد كتب (١) ويكفينا أن نشير هنا الى أهميته(٢) .

خاتمـــة

هذه اللمحة في اللغات الآرامية وآدابها تبين أهمية درسها وتجعلنا نقدر ما فيها من العون الكبير لعلماء اللغات والمؤرخين . بيد أن أقساماً كثيرة في هذا المجال الواسع لم تستنفض حتى الآن . فهذا الحقل الواسع الخصب يستلزم جهود عملة كثيرين . وجهودهم تستحق أن تلقى التشجيع من العلماء الذين يهمهم أمر اشتهار الدروس الشرقية في فرنسا ونجاحها .؟

---

(١) — أنظر للوقوف على المراجع Maspero, Hist. anc. des peuples de l'Orient. 6 édit., p. 842.

(٢) —أنظر M. de Vogüé. L'alphabet araméen et l'alphabet hébraïque Paris, 1865

وانظر خاصة

Ph. Berger. Histoire de l' écriture dans l'antiquité, 2 e éd.. Paris, 1892

اللغات الآرامية وآدابها

بحث تاريخي جليل يتضمن وصف اللغات الآرامية وآدابها مع بيان فروعها
ولهجاتها وخصائصها وتاريخ نشأتها وتأثيرها في غيرها من اللغات السامية
باسلوب جذاب على خير ما يمكن
من التلخيص والتمحيص

تأليف
الاب العلامة شابو (J. Chabot)

تعريب
الاستاذ انطون شكري لورنس

عني بنشره
مراد فؤاد جقي
رئيس تحرير مجلة « الحكمة »

مطبعة دير مار مرقس للسريان بالقدس

١٩٣٠